**-المبحث الأول-**

**أولاً/الاتساع لغة**

**من اسماء الله سبحانه وتعالى (الواسع) وهو الذي وَسِعَ رزقه جميع خلقه ووسعت رحمتُه كل شيء وغناه كل فَقْرٍ، وقال ابن الانباري: الواسع من اسماء الله الكثير العطاء، والسَّعَةُ: نقيض الضِّيق. كما قال تعالى:**

**ألم تكن أرضُ اللهِ واسعةً فتهاجروا فيها، وتقول: هذا الوعاءُ يَسَعَهُ عشرون كيلاً، معناه يسع فيه عشرون كيلاً أي يَتَّسِعُ فيه عشرون كيلاً، قال الله عز وجل: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ(1) أي: اتَّسَع لها، والتوسيع خلاف التضييق فتقول: وسَّعْتُ البيتَ فاتَّسَع، واتسع النهار(2): امتد وطال، فشمل الدلالة الحسية في (وسعت البيت) والدلالة المعنوية في (واتسع النهار) والدلالتان معاً في قوله تعالى (وسع كرسيه) ليس له ثمة كرسي قاعد عليه وانما هو تمثيل لعظمة شأنه عز وجل وسعة سلطانه وإحاطة علمه بالأشياء قاطبة(3).**

**وباتساع الزمان قال ابو السعود في قوله تعالى وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(4) "المقصود تذكير الزمان الممتد المتسع لابتداء الخروج"(5).**

 **وقد ورد أن الاتساع هو مصدر للفعل اتَّسع يتسِعُ، واصل اتسَّع اُوْتسَعَ قلبت واوه تاءً، وأُدغمت مع تاء الافتعال(6)، "وسمع الكسائي: الطريق ياتَسِعُ، أرادوا يَوْتَسِعُ**

1. البقرة: 255
2. ينظر لسان العرب: 9/301-302 مادة[وسع]، واللباب في تصريف الافعال: 46
3. ينظر تفسير ابي السعود: 1/288، والاتساع في اللغة عند ابن جني اطروحة دكتوراه: 4
4. آل عمران: 121
5. تفسير ابي السعود: 1/407
6. ينظر الممتع في التصريف: 1/386، وشرح الشافية: 2/57

**فأبدلوا الواو ألفاً طلباً للخفة ... ويَتَّسِعُ أكثرُ وأقيَسُ"(1).**

**وفي مجيء الاتساع في الكلام قال السمين:"إلا أنه يطرد في الواو، والياء**

**إذا كانا فاءين ووقعت بعدهما تاء الافتعال أَنْ يبدلا تاءً نحو: اتّعد من الوعد، واتسر من يسر"(2).**

**وقد ورد لفظ الاتساع في تفسير أبي السعود بعدة معانٍٍ لغوية من ذلك في قوله تعالى:** **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً(3)، فقال إن السعة هنا تعني الرزق(4). ومثله أيضاً في قوله تعالى: يُغْنِ اللّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ(5)، فقال انها تعني الغنى والقدرة(6).**

**والتوسع مصدر الفعل تَوَسَّعَ-يتوسَّعُ ومنه أيضاً تَوَسُّعاً وسَعةً، وأصل يَسَعُ: يَوْسِعُ بالكسرِ(7). "وانما فتح عين فعله (السين) في المضارع من اجل حروف الحلق"(8)، وقال الخليل:"الوَسْعُ جِدَةُ الرَّجل، وقدرة ذات يده. تقول: أنفق على قدر وسعِك أي طاقتك...، وأوسع الرجل إذا صار ذا سعة في المال فهو موسع، وإنه لذو سعة في عيشه"(9)، وقد أجمعت معجمات اللغة القديمة والحديثة على أن مادة**

1. لسان العرب: 9/301
2. الدر المصون: 1/94
3. النساء: 100
4. ينظر تفسير ابي السعود: 1/575
5. النساء: 130
6. ينظر تفسير ابي السعود: 1/592
7. ينظر الكتاب: 4/111 تح عبد السلام هارون
8. التوسع في المعنى للجامع لاحكام القرآن للقرطبي اطروحة دكتوراه: 5، وينظر اللباب: 46، ولسان العرب مادة [وسع]
9. العين: 2/203

**(وسع) تدل على خلاف الضيق والعسر(1).**

**ورد في قوله تعالى: وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ(2) فقال ابو السعود ان اليد هنا تعني التوسيع لمجال القتال(3).**

**وفي قوله تعالى وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ(4)، قال ان المعنى "لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الإنفاق أو لموسعون السماء أو ما بينها وبين الأرض أو الرزق"(5).**

**واذا نظرنا الى مادة وسع في اللغة نلاحظ انها تأتي على الصيغ الاتية في الاستعمال اللغوي:- وسِع، وتوسع، واتسع، والسعة، وواسع، الا أن الدلالة الاصلية لها هي سعة المكان وهي دلالة حسية ثم انتقلت الى الاتساع المعنوي(6).**

**وقد لاحظنا في آية الكرسي ان الدلالتين قد اجتمعتا فيها ووردت الدلالة المعنوية ايضاً في مثل قوله تعالى: كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ(7) فقال أبو السعود إنها "جملة مستقلة داخلة تحت الأمر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق"(8)، وقد قال الأصفهاني ان "السعة تقال في الأمكنة وفي الحال وفي الفعل كالقدرة..."(9)، ونجد هذا المعنى واضحاً في تفسير أبي السعود ومن الامثلة على ذلك في قوله تعالى:**

1. **ا**لمعجمات: جمهرة اللغة، تهذيب اللغة، الصحاح، مجمل اللغة، مقاييس اللغة، المصباح المنير، الكليات، تاج العروس، لسان العرب، القاموس المحيط، المحيط في اللغة وغيرها
2. الحشر: 2
3. ينظر تفسير ابي السعود: 5/702
4. الذاريات: 47
5. تفسير ابي السعود: 5/632
6. ينظر الاتساع في اللغة عند ابن جني اطروحة دكتوراه: 4
7. الأنعام: 12
8. تفسير ابي السعود: 2/129
9. المفردات في غريب القرآن: 523

**لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا(1) اي قدرتها وطاقتها فقال أبو السعود في المعنى انها -أي لآية- "نص على انه تعالى لا يكلف لعبد ما لا يطيقه وذلك لا ينافي في امكانه"(2).**

**وفي تعدد معاني الاتساع اللغوية في تفسيره ما يوضح انها تعدد حسب السياق الواردة فيه وبهذا زادت معانيها من ذلك في قوله تعالى: وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(3) أي "يوسع على الفقير ويغنيه" ونفس الآية في موضع آخر بمعنى "لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة" وهو تعالى عليم "بنية المنفق ومقدار إنفاقه وكيفية تحصيل ما أنفقه"(4) وفي موضع ثالث ذكرت نفس الآية بمعنى انه تعالى واسع قدرةً وفضلاً(5) ونجدها في موضع آخر معناها انه تعالى واسع "بإحاطته الأشياء أو برحمته يريد التوسعة على عباده"(6) فقد أفادت لفظة (واسع) الإحاطة والتوسعة وبهذا المعنى نجدها في قوله تعالى: وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ(7) فقال أبو السعود إن الوسع يعني الإحاطة أي (أحاط بكل شيء علماً)(8).**

**نلاحظ في كل ما تقدم أن الفيصل بين هذه المعاني هو السياق، فعندما فسر معناها التوسيع على الفقير فقد وردت الآية مع آيات الحديث عن طالوت وكيف أن الله وسع عليه رزقه وملّكه، وفي آخر كان الحديث عن الرزق والإنفاق، وجاءت مرة أخرى عند الحديث عن قدرة الله ووعده بالمغفرة وإيتاء الحكمة لمن يشاء(9)**

1. البقرة: 233
2. تفسير أبي السعود: 1/269
3. البقرة: 247
4. تفسير أبي السعود: 1/280، 299
5. ينظر تفسير أبي السعود: 1/304
6. تفسير أبي السعود: 1/179
7. الانعام: 80
8. ينظر تفسير أبي السعود: 2/172
9. ينظر تفسير أبي السعود: 1/28، 299، 304

**وقد وردت أيضاً في سورة المائدة ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ بمعنى كثير(1) فكل معنى منها حسب ما اقتضاه السياق.**

**وعند النظر في كتب اللغويين المتقدمين نلاحظ فيها الفاظاً دالة على الاتساع وقد ذكر ذلك أحد الدارسين(2) بأنها محمولة على مواد لغوية متعددة تشير الى الاتساع منها:-**

1. **مادة وسع واشتقاقاتها(3):-**
2. **سعة اللغة أو الكلام:- فقد جاء عند سيبويه (ت180ھ) سعة الكلام(4)، وعند الفراء وآخرين سعة العربية(5).**
3. **وُسْع اللغة: ورد ذلك عند الخليل عن دلالة (شَعْب): قال: "هذا من عجائب الكلام ووُسْع اللغة والعربية أن يكون الشَعْب تفرقاً، ويكون اجتماعاً"(6)**
4. **اتسع اتساعاً ومُتَسَع فيه:- حيث عَدَّ أحد اللغويين ان الابدال الذي يحدث بين الحروف كابدال الياء ألفاً في بعض الكلمات هو كالمتسع(7) توسَّع وتوسُّعاً وتوسِعَة: قال سيبويه:"حروف الاستفهام كذلك لا يليها إلا الفعل إلا أنهم**
5. المائدة: 54/ وينظر تفسير ابي السعود: 2/58
6. ينظر الاتساع في اللغة عند ابن جني رسالة دكتوراه: 6
7. ينظر المصدر نفسه
8. ينظر الكتاب: 1/53 تح: عبد السلام هارون
9. ينظر معاني الفراء: 1/147، 2/292، ومعاني الاخفش تح: فائز فارس: 1/89 والمقتضب تح: محمد عبد الخالق عضيمة: 4/353، والاصول: 1/89
10. العين: 1/263
11. ينظر تأويل مشكل القرآن: 40

 **قد توسّعوا فيها فابتدؤوا بعدها الأسماء"(1).**

1. **مادة (صرف) ومنها التصريف في الكلام(2).**
2. **مادة (جوز)(3)**
3. **جاز، والجواز: قال سيبويه في إضافة الظرف الى الافعال "وجاز هذا في الازمنة واطرد فيها كما جاز للفعل أن يكون صفة، وتوسّعوا بذلك في الدهر"(4)**
4. **استجاز: قال بعضهم "فاستجازوا ذلك لهذا"(5)**

**ج- المجاز: وقد ورد ذكر ذلك عند أبي عبيدة في قوله تعالى وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ{34} لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ(6)، فقد قال أحد اللغويين في البغداديات "مجاز هذا مجاز قول العرب يذكرون الاثنين ثم يقتصرون على خبر أهدهما وقد اشركوا ذاك فيه"(7)، وقد ورد ذلك عند أبي السعود نحو تفسيره لقوله تعالى: مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء(8) فقال ان المعنى: "بيان لبعض وجوه التصرف الذي تستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالى حقيقة وكون مالكية غيره بطريق المجاز كما ينبيء عنه إيثار الإيتاء الذي هو مجرد الاعطاء على التمليك**

1. الكتاب تح: عبد السلام: 1/98-99، 3/117
2. ينظر المصدر نفسه
3. ينظر المصدر نفسه
4. الكتاب: 3/111 تح عبد السلام، وينظر مجاز القرآن: 1/16
5. ينظر معاني الفراء: 2/12، والتفسح: 112
6. يس: 34-35
7. مجاز القرآن: 2/161
8. آل عمران: 26

**المؤذن بثبوت المالكية حقيقة"(1) وكذلك قال في نزع الملك أيضاً هو مجاز فإن نسبة الملك الى صاحبه على الإيتاء أو النزع هي نسبة مجازية وضحها في تفسيره(2).**

**وفي السيدة مريم جاء قوله تعالى: فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً (3) فقال ان الانبات هنا هو مجاز عن تربيتها(4).**

**د- الاجتياز:- وقد قال ابو عبيدة في الكلام على قوله تعالى: وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً(5) "مجازه اختار موسى من قومه، ولكنّ بعض العرب يجتازون فيحذفون منْ"(6).**

**ومن المواد اللغوية الاخرى التي تشير الى الاتساع:-**

1. **مادة (جرى)(7)**
2. **مادة (فسح)(8)**
3. **مادة (حول)(9)**
4. **مادة (نقل)(10)**
5. تفسير أبي السعود: 1/344
6. ينظر المصدر نفسه: 1/345
7. آل عمران: 37
8. ينظر تفسير أبي السعود: 1/354
9. الاعراف: 155
10. مجاز القرآن: 1/229، 267
11. ينظر الكتاب تح عبد السلام: 1/176، 181، والاصول: 3/177، والحجة في علل القراءات: 1/257، 258
12. ينظر التفسح: 49
13. ينظر معاني القرآن: 2/12، ومجاز القرآن: 1/63، 2/176
14. ينظر الموجز في النحو: 16
15. **مادة (عدل)(1)**
16. **مادة (جرؤ)(2)**

**والتوسيع خلاف الضيق والعسر(3) نحو قوله تعالى وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ(4) ففي تفسيرها قال ابو السعود ان قدر الامتاع يكون بما يليق بحال كل منهما، أي على الموسع منكم...الخ، أو على موسعكم...الخ، والمتعة يقصد بها المهر المقدم للمرأة(5).**

**إن اصل التوسع أن يكون في المكان(6)، "ويدل لفظ (التوسع) على الكثرة والزيادة والامتلاء، تقول: أوسَعَ الرجل: إذا كثر ماله واتسعت حاله، وهو في عيش واسع..."(7).**

**بعد الاطلاع على كتب اللغة والنحو نلاحظ أن أول من ذكر الاتساع في مؤلفه هو الخليل في العين فقد جاءت عنده سعة العربية ووُسْع اللغة(8) وعنه أخذ سيبويه ونقل آراءه في مواضع كثيرة من الكتاب(9)، ومن المعاصرين لسيبويه الذين تناولوا مباحث المجاز والاتساع أبو زكريا الفراء (ت207ھ) في رؤيته أنّ ثمة أساليب في لغة العرب تأتي على جهة التوسع في الكلام.**

1. ينظر الاتساع في اللغة عند ابن جني رسالة دكتوراه: 8
2. ينظر التفسح: 102، 103
3. معجم مقاييس اللغة تح عبد السلام: 6/109، مادة (وَسِعَ)
4. البقرة: 236
5. ينظر تفسير أبي السعود: 1/273
6. ينظر مفردات الفاظ القرآن للاصفهاني: 870 مادة (وسع)
7. ينظر المعجم الوسيط: 1032
8. ينظر العين: 1/250، 263
9. ينظر الكتاب تح عبد السلام: 1/282-286، ومكانة الخليل في الخليل في النحو العربي: 116-120

 **كما يشيع عنده مصطلح الجواز(1)، وقد ذكره قبله أبو عبيدة إذ إنَّ المجاز عنده لم يكن يعني مقابلة الحقيقة فقط، بل يعني أيضاً الكشف عن معاني الالفاظ في النص القرآني وعرض الطرائق التي استنها القرآن في التعبير إذ يقصد بها الوجه الذي يخرج عليه الكلام(2).**

**هذا يعني أن مفهوم مصطلح الاتساع كان معروفاً في السابق باسم (المجاز) الذي ورد ذكره عند مفسر قديم هو أبو عبيدة مما يدل ذلك على أن العرب عرفت الاتساع في اللغة إلا أنه كان له الفاظ اخرى عرف بها كالمجاز فلم يعرف باسم الاتساع المعروف اليوم إلا بعد أن اتضح مفهومه كمصطلح لغوي يعرف من خلاله طرق تأدية الكلام.**

**وقد اقتفى الاخفش الاوسط (ت215ھ) في (معاني القرآن) أثر أبي عبيدة في ذلك(3). ونجد هذه الظاهرة أيضاً في كتب ابن السكيت (ت244ھ)(4)، وقد نقل عنه ابن هشام (ت761ھ)(5)، وذكره صاحب كشف الظنون(6)، وصاحب تاج العروس(7) و "لم يكن الجاحظ (ت255ھ) مختلفاً عن سابقيه أو معاصريه من حيث ادراكه أن العرب قد تنقل الألفاظ من معانيها القديمة الى معان جديدة"(8) "أو أنها تحول ابنيتها وتراكيبها على جهة التوسع في الكلام"(9)، وهكذا تتابع اللغويون في معالجة ظاهرة الاتساع وقد اجمعوا على انها تمثل كل الاساليب اللغوية المستخدمة في اللغة العربية كالحذف والمشترك اللفظي والتقديم والتأخير والاستفهام والاستثناء وتعدد اساليب**

1. ينظر المجاز في البلاغة العربية: 54، 55
2. ينظر الاتساع في اللغة عند ابن جني اطروحة دكتوراه: 10، 11
3. ينظر معاني الاخفش: 1/177
4. ينظر اصلاح المنطق: 289، 315
5. ينظر مغني اللبيب لابن هشام تح مازن المبارك: 913
6. ينظر كشف الظنون: 2/563
7. ينظر تاج العروس مادة (وسع)
8. المجاز في البلاغة العربية: 63
9. الاتساع في اللغة عند ابن جني اطروحة دكتوراه: 13

**الامر والنهي والتركيب وغيرها من الاساليب الاخرى ما هي إلا ضرب من ضروب الاتساع في اللغة وهذا ما تميزت به اللغة العربية عن سائر اللغات الاخرى وكان سبباً لديمومتها واستمرارها وتطورها فضلاً عن كونها لغة القرآن الكريم. وسنأتي لبيان بعض من تلك الأساليب لاحقاً.**

**عندما نقول عبارة (أصل الكلام) هذا يعني أن الكلام حدث فيه توسعة أو متسع وقد ورد ذكر ذلك عند أحد الدارسين في مفهوم الاتساع في كتب المتقدمين(1) "بين الأصل والفرع: ظهر أن (المتسع فيه) فرع على (الأصل في اللغة) والاصل إما أن يكون قياساً متبعا أو استعمالاً مطرداً"(2)، وإن المتسع فيه يترتب عليه حكم جديد(3) وفسر ذلك بما جاء في قوله تعالى: واسأل القرية إذ المستوى المعياري لها (واسأل اهل القرية) فحذف المضاف وأُقيم المضاف اليه مقامه فتغير حكم الترتيب والتركيب في الجملة(4).**

**وعلى ما سبق يمكن القول: إن ظاهرة الاتساع اكثر ما نجدها في كلام العرب(5) وهذا حسب ما علمناه عنهم بانهم يميلون الى الاختصار والحذف والتيسير في الكلام اكثر من الاطالة والاطناب وما الحذف إلا مظهر من مظاهر الاتساع في المعنى وهو يختلف عن الاتساع في اللفظ الذي هو اطالة الكلام. إلا أنه في الوقت نفسه لا يتسع في شيء من اللغة إلا إذا كان متمكناً في بابه فهو بالاصول أولى من الفروع، فقال المبرد في ذلك: "وإذا لم يكن -المتسع فيه- متمكناً في بابه امتنع خروجه على جهة الاتساع الى باب آخر"(6).**

1. ينظر المصدر السابق: 21
2. المصدر السابق
3. ينظر المقتضب تح محمد عبد الخالق عضيمة: 3/105
4. ينظر الاتساع في اللغة عند ابن جني رسالة دكتوراه: 21
5. ينظر الأصول: 2/265
6. المقتضب تح محمد عبد الخالق عضيمة: 4/440

**ونلاحظ أن كتب اللغة والمعجمات اجمعت –في مادة وسع- على أن الاتساع من (وسع) وهو نقيض الضيق، وقد جاء في قوله تعالى: وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً(1) قال فيها أبو السعود: "أي ضاق بمكانهم صدره أو قلبه أو وسعه وطاقته" ثم قال ان المعنى (ضيق الذرع) أي (قصرها) كما أن معنى (سعتها) وبسطتها (طولها)(2)، وبذلك أفاد معنى الاتساع الطول فضلاً عن القدرة.**

**وقد جاء في قوله تعالى: لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ (3) أي على قدر غناه وسعته –والهاء عوض من الواو-(4) وكقوله تعالى: قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ(5) أي "كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال"(6) "ويَسَعُ: اسمٌ من اسماء العجم، وقد أُدخل عليه الألف واللام، وهما لا يدخلان على نظائره، نحو يعمر ويشكر ويزيد إلا في ضرورة الشعر وانشد الفراء: [الطويل]**

 **وَجَدْنا الوَلِيدَ بن اليَزيدِ مُبَارَكا ً شديداً بأَعْبَاءِ الخلافَةَ كَاهِلُهْ"(7).**

1. هود: 77
2. ينظر تفسير أبي السعود: 3/53
3. الطلاق: 7
4. ينظر الصحاح: 1138 مادة وسع
5. البقرة: 247
6. تفسير أبي السعود: 1/279
7. الصحاح: 1139 مادة وسع

**وقال أبو السعود في (يسع) من قوله تعالى: وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ(1) "هو ابن أخطوب بن العجوز وقرىء والليسع وهو على القراءتين علم أعجمي أدخل عليه اللام ولا اشتقاق له ويقال انه يوشع بن نون وقيل انه منقول من مضارع وسع واللام كما في يزيد في قول من قال"(2): واستشهد بقول الفراء السابق ذكره(3).**

**وقد جعل ابن جني الاتساع احد المعاني التي يُعدل اليها لافادة المجاز حيث قال "انما يقع المجاز ويُعدَل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة، وهي: الاتّساع، والتوكيد، والتشبيه. فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتَّة"(4).**

 **وقد وردت لفظة (الطول) عند أبي السعود بمعنى السعة وبذا تزاد لفظة تفيد الاتساع أيضاً الى جانب الالفاظ الاخرى التي ذكرناها سابقاً وذلك في قوله تعالى: وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مِّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(5) فقال فيها: "(طولا) أي غنى وسعة أو اعتلاء.... وعلى أن الطول بمعنى القدرة في القاموس الطول والطائل و الطائلة الفضل والقدرة والغنى والسعة"(6).**

1. الأنعام: 86
2. تفسير أبي السعود: 2/176
3. قد ذكر الشاهد بدون اسم القائل، وعلى أن أوله [رأيت] وليس (وجدنا) كما هو مذكور في الصحاح/ وقرأ حمزة والكسائي وخلف بتشديد اللام واسكان الياء، والباقون بإسكان اللام وفتح الياء- ينظر البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: 176 (الْيَسَع، الَّيْسَعَ)
4. الخصائص: 2/208
5. النساء: 25
6. تفسير أبي السعود: 1/508

**ثانياً/ الاتساع اصطلاحاً**

**عند تتبع مصطلح الاتساع او التوسع في اللغة نجده من المصطلحات المبكرة في كتب العلماء خاصة علماء اللغة ثم انتقل الى اهل معاني القرآن وغيرهم شأنه في ذلك شأن كثير من المصطلحات فنجده في كتاب العين للخليل (ت175ھ) –رحمه الله- فقد وردت فيه اشارات الى التوسع، فجاء فيه (سعة العربية)، و(وُسْعُ اللغة)(1)، ثم جاء من بعده تلميذه سيبويه (ت 180ھ) –رحمه الله- فذكره في (الكتاب)(2)، حيث أن سيبويه يُعد اول من حاول أن يحدد مفهوماً للاتساع ويقربه الى فهم السامع، واول من وضع له ابواباً مستقلة وعالجه فيها صراحة حيث اتسمت معالجته بالتعليل والتحليل(3).**

**الخليل قال (سعة العربية) و (وسع اللغة)، وتلميذه سيبويه (سعة الكلام)، ونجد هذه الالفاظ الدالة على لفظ الاتساع تتردد عند أهل معاني القرآن فقد قال الفراء في قوله تعالى: لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم(4): "إن هذا على وجه التوسعة"(5)، وفي ذلك قال أبو السعود (ت982ھ): "اي ليوسَّع عليهم أرزاقهم"(6)، وقد ذكر أنه قد قيل في المراد منها: "المبالغة في شرح السعة والخصب لا تعيين الجهتين كأنه قيل لأكلوا من كل جهة"(7) وأكد ذلك بأن مفعول أكلوا محذوف لقصد التعميم، وإن (من) افادت ابتداء الغاية(8).**

1. ينظر العين: 1/250، 263
2. ينظر الكتاب: 1/211، 222، 229/ تح عبد السلام
3. ينظر الكتاب تح عبد السلام: 1/171-172
4. المائدة: 66
5. معاني القرآن للفراء(ت207ھ) ط3: 1/315
6. تفسير أبي السعود: 2/67
7. المصدر نفسه
8. ينظر المصدر نفسه

**وعن التوسع في كلام العرب جاء في قول الجاحظ (ت255ھ) ذلك قوله: "فهذا مما يدل على توسعهم في الكلام"(1)، وقد قال ابن جني (ت392ھ): "ان حذف المضاف ضرب من الاتساع"(2)، وان لحذفه اغراضاً من اهمها: "التجوز في الكلام والاتساع فيه"(3).**

**وممن عُني بمفهوم الاتساع في عصر الفراء الامام ابو عبيدة (ت210ھ) في كتابه (مجاز القرآن) إلا أنه عُرف عنده بلفظ المجاز ولم يقصد من استعمال هذه الكلمة ما يقابل الحقيقة فحسب بل كان يقصد أيضاً انه كشف عن معاني الالفاظ في النص القرآني وعرض الطرائق التي استنها القرآن في تعبيره(4)، ومنهم من عرفه بانه اتساع تأويلات الكلام(5).**

**وقد عبر الجاحظ عن مفهوم التوسع في المعنى في القرآن بقوله: "إنَّه –أي القرآن- قد يدل بالكلمة الواحدة والكلمات المختصرة على معانٍ متعددة يطول شرحها، وإذا أراد المتكلم العادي التعبير عن المعاني التي أرادها القرآن لم يصل الى بغيته إلا بلفظ أطول وأقل دلالة"(6)، نلاحظ ان هذا المفهوم قد شرح القصد من الاتساع شرحاً كاد يكون وافياً ونقول كاد لانه هنا شرحه من ناحية دلالة اللفظ على معانٍ جديدة غير التي قصدها اصلاً فالذي أُستحدث لمعنى الاتساع هو السياق الذي يرد فيه كما سنبين ذلك لاحقاً.**

البيان والتبيين للجاحظ: 1/203

الخصائص: 2/362 تح: محمد علي النجار ط2

معاني النحو: 3/137

ينظر معاني القرآن للفراء: 1/147، 2/259، 292

ينظر علل التعبير القرآني في مؤلفات السيوطي اطروحة دكتوراه: 352-353

البيان والتبيين: 2/1

**الاتساع يكون أيضاً بتعدد أساليب الطلب وصيغها وبالحذف وغير ذلك، وقد ذُكر ان هناك مؤلفاً يُعد أول كتاب يصل إلينا متخصصاً بجمع ضروب التوسع وهو (التفسح في منثور اللغة ومنظومها وإعراب القرآن الشاهد بذلك لهما) لابن الجزّار النحوي(ت325ھ)(1) ، والتفسح يعني التوسع إذ جاء في الصحاح: تفسحوا في المجالس، أي: توسعوا(2).**

**ونجد ان الكفوي (1094ھ) قال في الاتساع :**

**"الاتساع هو ضرب من الحذف الا انك لاتقيم المتوسَّع فيه مقام المحذوف وتعربه بإعرابه وتحذف العامل في الحذف وتدع ما عمل فيه على حاله في الاعراب"(3)، وقد سبقه في ذلك ابن السراج في الاصول(4)، وابن جني في الخصائص(5).**

**وقد ذهب احد الدارسين الى ان مادة (وسع) وما خرجت اليه من معان في المعجمات القديمة والحديثة تدل على (سعة المكان) وهي دلالة حسية ثم تطورت الى الدلالة المعنوية على سعة المعاني المجردة كسعة اليد تعني: القدرة، وأُخذ منها الاتساع مصطلحاً لغوياً للدلالة على نمو اللغة وتوسعها لفظاً ودلالة وذلك لان العربية لغة واسعة لذا ينبغي ان تتوسع ضروب الاتساع فيها وهذا يرجع الى أصالة وعمق جذورها التاريخية(6)، وقد ورد في تفسير ابي السعود ما يؤيد ذلك فقد ذكر الوسع واراد به القدرة عند تفسيره لقوله تعالى : ٱتَّقُواْ ٱللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ(7) فقال في معنى الاتقاء هو افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة والمعنى (اي حق تقواه وما**

ينظر التوسع في المعنى في الجامع لاحكام القرآن رسالة دكتوراه: 9

ينظر الصحاح: مادتي (فسح) و (وسع)

الكليات للكفوي:1/33

ينظر الاصول لابن السراج: 2/265

ينظر الخصائص لابن جني: 2/362

ينظر الاتساع في اللغة عند ابن جني رسالة دكتوراه: 37، 41

آل عمران: 102

**يجب منها) وبين ان ذلك يكون باستفراغ الوسع في القيام بالمواجب واجتناب المحارم فمن خلال السياق فان الوسع هنا يعني القدرة او الطاقة الانسانية وقد قابلها بقوله تعالى: فاتقوا الله ما استطعتم(1).**

**ونستطيع بيان سبب وجود هذه الظاهرة في اللغة العربية بعدة اسباب توصل اليها ابن جني سابقاً هي:-**

1. **ان اللغة العربية لغة واسعة إذ قال " كِثرة هذه اللغة وسعتها"(2)**
2. **ان الاتساع في اي لغة ينبع من طبيعة حاجات اهل تلك اللغة للتعبير يقول ابن جني: "وغَلْبت حاجة اهلها الى الصرف فيها"(3).**
3. **وينبع الاتساع أيضاً من قوة احساس أهل تلك اللغة في كل شيء وما يتخيلونه من الاشياء فيقول: "ولقوة احساسهم في كل شيء شيئاً وتخيلهم ما لا يكاد يشعر به من لم يألف مذاهبهم"(4)**

 **وقد عُرفت العرب بأنها أُمة شاعرة تتميز بقوة الاحساس والقدرة على التخيل الواسع وهذا يدل على ان الاتساع اسلوب ابداعي(5).**

**وقد وضع احد الدارسين(6) مخططاً يكشف العلة أو العلاقة بين الاتساع والالفاظ الدالة عليه بالشكل الآتي(7):**

ينظر تفسير ابي السعود: 1/393

الخصائص:1/215 تح: محمد علي النجار

المصدر السابق

المصدر السابق

ينظر الاتساع في اللغة عند ابن جني اطروحة دكتوراه: 40

حسن سليمان حسين

ينظر الاتساع في اللغة عند ابن جني اطروحة دكتوراه: 51

**هذا يدل على ان كلمة الاتساع وتصريفاتها تعد اصلاً لحمل معناها وباقي الالفاظ التي تحمل نفس المعنى هي فرع عنها نلاحظ مثلاً ان الحذف في اللغة هو ضرب من الاتساع ويسميه ابن جني (شجاعة العربية)، والتفسح يعني التوسع، والتوسع في الدراسات الاسلوبية يسمى الانحراف او الانزياح؛ ويعني ايضاً الجنوح**

**او الخروج عن المعنى الاصلي الى معاني مجازية قد يكتسبها اللفظ من السياق مما يؤدي الى اتساع معناه وهكذا فان هذه الالفاظ ليست وحدها التي تدل على الاتساع حصراً فان هناك الفاظاً اخرى فضلاً عن الالفاظ التي تتقلب اليها صيغة الاتساع ﻛ (وَسِعَ و السِّعة) وغيرها.**

**ورغم ذكر العلماء التوسع او الاتساع في كتبهم الا انهم لم يضعوا حداً جامعاً مانعاً له وذلك لانه اسلوب ابداعي مميز وكل ابداع يصعب الإحاطة به(1)، فهو اسلوب يشمل كل مستويات اللغة لذلك تتنوع الالفاظ الدالة عليه وتتداخل(2)، وهو اسلوب لا يخضع للثبوت ولا يمكن تقييده بالضوابط ومع ذلك فقد وضع له ابن جني قوله: "ووجدت في اللغة من هذا الفن –اي التوسع- شيئاَ كثيراً لا يكاد يحاط به، ولعلّه لو جُمع أكثره لجاء كتاباً ضخماً: فإذا مرّ بك شيء منه فتقبله وَٱئنَس به، فإنَّه فصلٌ من العربية لطيفٌ حَسَنٌ يدعو الى الاُنس بها، والفقاهة فيها"(3)**

**وقد وردت ألفاظ الاتساع في تفسير أبي السعود كثيرة فمنها ما كان بلفظ الاتساع ومشتقاتها ومنها ما جاء بمعناها مما يراد منها ولا مجال لحصرها لذلك نذكر بعضاً منها ﻛ(التغليب والتعميم والعموم والزيادة والمبالغة والتوسيع والتفسح والرتع) وغيرها، وذلك نحو:**

1. **قوله تعالى: وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا(4) فقال: إن "إيثار التنزيل المنبئ عن التدريج على مطلق الإنزال لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء التحدي عليه إرخاء للعنان وتوسيعاً للميدان"(5).**
2. **قوله تعالى: تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ (6) ذكر أبو السعود ان لفظ (كاملة) جاء صفة مؤكدة وقد أفادت المبالغة في المحافظة على العد أو مبينة لكمال العشرة فأدى ذلك الى الزيادة في المعنى والاتساع فيه(7).**
3. ينظر التوسع في الجامع لأحكام القرآن رسالة دكتوراه:10
4. ينظر الاتساع في اللغة عند ابن جني رسالة دكتوراه: 52
5. الخصائص: 2/310 تح: محمد علي النجار
6. البقرة: 23
7. تفسير أبي السعود: 1/78
8. البقرة: 196
9. ينظر تفسير أبي السعود: 1/243, وقال آخرون كاملة في الثواب حتى لا يظنُّ ظانٌ أنَّ التفرق يضرُّ الأجر والله اعلم.
10. **ومثل قوله تعالى: وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ (1) فقال ان زيادة لام الابتداء أفادت التأكيد والمبالغة في الحمل على الانزجار فزيادتها أفادت الاتساع في المعنى(2).**
11. **وفي قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ(3) انه خطاب يعم حكمه جميع المكلفين (النساء والرجال) وقوله تعالى اتقوا ربكم لجماعة الذكور جاء على طريق التغليب(4).**
12. **وفي قوله تعالى: وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(5) قال انه تعميم للتأكيد(6).**
13. **وقد فسر (التفسح) بمعنى التوسع في قوله تعالى: فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ(7) فقال ان السيح يعني الذهاب في الارض والسير فيها بسهولة وهذا يدل على كمال التوسعة والترفيه، وان لفظ (الارض) جاء لقصد التعميم لاقطارها(8).**
14. **قال تعالى: وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(9) قال فيها ابو السعود انها اظهار لكمال العناية اي (يصيب بفضله الواسع) وان لفظ (من يشاء) يدل على عموم الفضل(10).**
15. البقرة: 221
16. ينظر تفسير أبي السعود: 1/258
17. النساء: 1
18. ينظر تفسير ابي السعود: 1/475
19. المائدة: 97
20. ينظر تفسير ابي السعود: 2/93
21. التوبة: 2
22. ينظر تفسير ابي السعود: 2/380
23. يونس: 107
24. ينظر تفسير ابي السعود: 2/533
25. **ومن تصاريف كلمة الاتساع عنده (التوسيع) في قوله تعالى: مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ(1) فقال انهن صفات مؤكدة محلهن النصب على انها حال من فاعل (طاب) –السابق ذكره- وقد ورد ذكرهن لافادة وصف الطيب من الترغيب فيهن والاستمالى اليهن بتوسيع دائرة الاذن(2).**
26. **وفي قوله تعالى: عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ (3) قال انه على التغليب او تعميم الخطاب(4).**

**وفي قوله تعالى:أرأَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ(5) قال ابو السعود ان " الرتع هو الاتساع في الملاذ"(6).**

**وقد فسر (الفج العميق) بانه الطريق الواسع في قوله تعالى: مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ(7) فجاءت لفظة العميق بمعنى الاتساع.**

**نستنتج من ذلك انه مع اتساع مصطلح الاتساع وشموله جميع مستويات اللغة فهذا لا يمنع العلماء من وضعهم تعريفات تكاد تكون شاملة لمفهومه من ذلك ايضاً قول ابن رشيق: "هو أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل فيأتي كل واحد بمعنى، وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته واتساع المعنى"(8)، وقد عرفه الامام السبكي بقوله: "كل كلام تتسع تأويلاته فتتفاوت العقول فيها لكثرة احتمالاته لنكتةٍ ما كفواتح السور"(9).**

1. النساء: 3
2. ينظر تفسير أبي السعود: 1/481
3. التحريم: 5
4. ينظر تفسير ابو السعود: 5/739
5. يوسف: 12
6. تفسير ابو السعود: 3/85
7. الحج: 27، وينظر تفسير ابي السعود: 4/16
8. العمدة في محاسن الشعر وآدابه: 2/734، والكليات للكفوي: 36، واصطلاحات الفنون: 3/1482
9. عروس الافراح: 2/311

**ان هذين التعريفين – تعريف ابن رشيق والسبكي- قال عنهما احد الدارسين بانهما "لم يقدما تعريفاً جامعاً مانعاً للاتساع"(1)، وقال آخر بانهما "فسرا التوسع بالتأويل، والتوسع ليس تأويلا، ولكنه قد يؤدي اليه"(2) وذكر دارسٌ آخر(3) ان الفيصل في تحديد المعنى المحتمل للكلام هو السياق فهو من القرائن المهمَّة والدلائل القوية على تكثير المعنى أو تحديده لذلك عرفه بانه "قدرة اللفظ الواحد أو العبارة الواحدة على تحمّل اكثر من معنىً في سياقٍ واحدٍ كلُّ معنى من هذه المعاني صحيح"(4)، وبذلك نستدل أنّ دلالة السياق كان لها اثر كبير في توجيه المعنى ويتضح ذلك كثيراً عند مفسري القرآن الكريم حيث نلاحظ ان لكل لفظ دلالة معينة قد تتغير داخل النص القرآني لتدل على معنى آخر يدل عليه السياق القرآني، وهذا ما أدى الى تعدد اقوال المفسرين في الآية الواحدة احياناً.**

**وعند النظر في المعاني التي تحملها الالفاظ يتضح لنا انها تجمعها ثلاثة اقسام هي: (الترادف أو التشابه والتباين والتقارب بين معانيها(5). فمن الاول(6) قوله تعالى: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ(7)، فالترادف هنا او التشابه في المعنى في كلمتي (العروة الوثقى) فقد تعددت الاقوال فيها(8)،**

1. اتساع المعنى عند السمين الحلبي رسالة ماجستير: 16
2. التوسع في الجامع لاحكام القرآن اطروحة دكتوراه: 12، وينظر الاتساع في العربية عند ابن جني اطروحة دكتوراه: 53، والتوسع في المعنى في كتاب الاصول لابن السراج: 12 رسالة ماجستير
3. طه سبتي ابراهيم
4. التوسع في المعنى في الجامع لاحكام القرآن اطروحة دكتوراه: 12، وينظر المصدر نفسه: 13-17
5. ينظر تعريف الدارسين بمنهاج المفسرين: 85، والبيان في اعجاز القرآن: 164-167
6. وهي المعاني التي ترجع الى مفهوم واحد مهما تعددت هذه المعاني وهو: (توالي الالفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد) وهذا ما عرفه الجرجاني في كتابه التعريفات (علي بن محمد بن علي الحسين الجرجاني)
7. البقرة: 256
8. ينظر جامع البيان: 2/1501، والنكت والعيون: 1/328، والمحرر الوجيز: 2/393

**وقد قال في تفسيرها ابو السعود: "اي بالغ في التمسك بها كانه وهو ملتبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه"(1).**

**ومن القسم الثاني (التباين)(2)، ومن ذلك ما جاء في بيان معنى كلمة (أُمَّة) من قوله تعالى: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً...(3) فقد وصفه الله تعالى بانه وحده امة من الامم لكمال جميع صفات الخير، والمعنى الآخر لها (الرجل الجامع للخير)، فالاول قريب من الثاني، والمعنى الثالث بانه (الامام الذي يؤمُّه الناس) كما جاء في قوله تعالى: قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً (4) فهو متباين معها والمعنى الجامع بينها بانه الرجل الذي اجتمعت صفات الخير فيه(5).**

**اما القسم الثالث (المتقاربة)(6)، من ذلك معنى (فاكهون) في قوله تعالى: انَّ اصحٰب الجنة اليوم في شغلٍ فاكهون اي: مسرورون وقد تعددت الاقوال فيها ايضاً وهي بين التشابه والتباين(7).**

**وعلى هذا فالمعاني قد تكون متشابهة، وقد تكون مختلفة والمختلفة قد يجمع بينها جامع وقد لا يجمع بينها جامع، فاذا جمع بينها جامع تكون معاني متقاربة لا وجود للتضاد بينهما، واذا لم يجمع بينهما جامع فقد يتفقان من وجه آخر فلا يقتضي التضاد بينهما لذلك قرر العلماء ان الاختلاف في معاني الالفاظ القرآنية هو اختلاف**

1. تفسير أبي السعود: 1/290
2. (وهو أن يوجد معنيان أو اكثر لا ينطبق اي واحد منها على الآخر) وهذا ما ورد ذكره في التعريفات عن الجرجاني: 55
3. النحل: 120
4. البقرة: 124
5. ينظر الكشاف: 2/599، والجامع لاحكام القرآن: 10/540
6. وهي المعاني التي يدل كل واحد منها على بعض المعنى أو اكثره فلا يدل كل واحد منها على المعنى نفسه، وهذا القسم وسط بين الاول والثاني (التشابه والتباين).
7. ينظر صفة الصفوة: 2/208، ومعرفة القراء الكبار: 1/66، وطبقات المفسرين للداودي: 2/305

**تنوع لا اختلاف تضاد(1).**

**وقد ورد أن ثمة تواصلاً بين مصطلحي (الانحراف) و (الاتساع) عند القدماء والمحدثين، وثمة تواصلاً بين (الانزياح) و (الاتساع والانحراف) عند المحدثين، وكل هذه الالفاظ تدل على الخروج على المعتاد وهذا يعد عنصراً اساسياً في الاتساع الذي هو عامل من عوامل نمو اللغة(2)، وقد ذكر ابن جني: أن ليس كل الاتساع خروجاً على القياس لذا يجب ان نفرق بين الاصل المعتاد والقياس المطرد الذي يسمح بالمرونة في التعبير كما في اساليب التقديم والتأخير(3).**

**من ذلك يتضح لنا أن الاتساع في المعنى قد يكون مقبولاً في مواضع وممنوعاً في اخرى وقد يلجأ اليه لضرورة شعرية ايضاً، فخروج اللغة عن المألوف هو اتساع ويسمى في الدراسات الاسلوبية (انزياحاً) او (انحرافاً) عن الاصل(4)، ولذلك قال احد الدارسين انه لا يمكن تصور لغة من غير انزياح فهما متلازمان(5)، لذلك فقد عرف (د.محمد نديم خشفة) الاتساع بانه: "عدد من السمات الاسلوبية المعدولة عن اصلها الوضعي الى استعمال جديد لغاية انشائية"(6) ويوضح ذلك ما**

**يفسره التحليل على النحو الآتي(7):-**

 **الاصل (اللغة العادّية) الفرع (الاتساع)**

 **رجلٌ دنِفٌ (الصفة) (رجلٌ دَنَفٌ) (المصدر)**

 **المعنى: المعتاد المعنى: مبالغ فيه**

1. ينظر تعريف الدارسين بمنهاج المفسرين: 802
2. ينظر الاتساع في اللغة عند ابن جني اطروحة دكتوراه: 55-57
3. ينظر الخصائص: 2/208-215، 382
4. ينظر مقالات في الاسلوبية: 29 وما بعدها، وينظر الاسلوب والاسلوبية: 55، وينظرملامح المنهج الاسلوبي في كتاب الطراز للعلوي (ت749ھ): 28
5. ينظر المصدر نفسه: 65
6. الاتساع في اللغة عند ابن جني اطروحة دكتوراه: 65
7. المصدر نفسه

**وهكذا يمكن ان نتصور مفهوم الاتساع في اللغة في معانيها والفاظها فتتضح لنا اهميته للاستعمال اللغوي وانه تلبيةً لحاجات ومتطلبات العصر، وهذا يؤكد تطور اللغة وديمومتها وهو ما ينطبق في القرآن الكريم ويبين سبب موافقته لكل زمان ومكان وهو اروع انواع الاعجاز القرآني.**

**وبناءً على ما ذكر من معاني لكلمة الاتساع يتضح لنا أن تنوع اساليب اللغة العربية وتعددها انما هو مظهر من مظاهر الاتساع في المعنى مثلاً نجد إن اسلوب الامر تتعدد فيه الطرق لتأدية غرض واحد هو (الأمر) فمرةً يكون باسلوب فعل الامر نحو قولك (اذهبْ)، ومرة اخرى نجده بطريقة المضارع المسبوق بلام الامر (لتذهبْ)، وثالثة بالمصدر النائب عن فعل الامر (ذهاباً) أو بطريقة اسم فعل الامر نحو (صه) بمعنى اسكت، وهكذا الحال بالنسبة للاساليب الاخرى كالاستثناء حيث تتعدد طرقه وحروفه والتوكيد ايضاً والنفي والاستفهام وغيرها من الاساليب العربية بكل طريقة استخدامها الذي يؤدي الى زيادة أو تأكيد او مبالغة او تقرير للمعنى الاصلي الحاصل بالطريقة الاصل لاسلوب معين منها.**

**وما علل التعبير القرآني الا وسيلة من وسائل الاتساع في المعنى من ذلك ايثار حرف او ايثار الأسماء أو ايثار الصيغ والايثار في حروف النفي وغير ذلك مثلاً في قوله تعالى: إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ(1) فقد علل ابو السعود ايثارها بقوله: "إيثار(2) إذا المفيدة لمعنى الاستقبال على اذا المفيدة لمعنى المضي لحكاية الحال الماضية إذْ المراد بها الزمان المستمر المنتظم للحال الذي يُدوِّر أمر استحضار الصورة"(3)، هذا يعني ان كل وسائل الاتساع يُؤتىٰ بها لتأدية معنى من المعاني،**

1. آل عمران: 156
2. الايثار: (هو ان يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه...) ذكره الجرجاني في التعريفات: 44
3. تفسير ابي السعود: 1/436

**وبتعدد الوسائل والاساليب تتعدد المعاني، وكذلك الايهام(1) ومنه قوله تعالى: وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ(2)، ويقال له –اي الايهام- التخييل ايضاً، وهو في البلاغة ما يعرف ب(التورية)، والايهام او التخييل والايثار نوع من الاتساع في المعنى.**

**وعند استرسال حديثنا عن الاتساع في المعنى فعلينا أن نُعرِّف المعنى لغة واصطلاحاً كما عرفنا الاتساع سابقاً لذلك نقول:- ان المعنى لغةً وهو ما ورد في المعجمات العربية لذلك قال ابن فارس:- العين والنون والالف (الحرف المعتل) هي أُصولٌ ثلاثة وتعني: القصد للشيء، والخضوع، وظهور الشيء وبروزه(3)، ومن هذه المعاني الثلاثة نلاحظ أن (القصد والظهور) اقرب لمعنى الاتساع في المعنى لان ذلك لا يكون الا بقصد ايصال الغرض من الكلام الى المتلقي (السامع او القارئ) وظهور ذلك الغرض.**

**اما المعنى اصطلاحاً فقد عرفه ابن فارس بقوله: "أن المعنى هو القصد الذي يَبرُز ويظهر في الشَّيء إذا بُحث عنه، يقال: هذا معنى الكلام ومعنى الشعر أي الذي يبرز من مكنون ما تضمنَّه اللفظ"(4). وعرفه الجرجاني (ت471ھ) بقوله: "والمعنى هو المفهوم من مظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة"(5)، وقد عرفه الشريف الجرجاني (ت816ھ) بقوله: "المعنى: ما يُقصد بشيء"(6)، من ذلك يمكن القول إن**

1. الايهام: هو (ان يذكر لفظ له معنيان قريب وغريب، فاذا سمعه الانسان سبق الى فهمه القريب، ومراد المتكلم الغريب) ذكر في التعريفات:44
2. الزمر:67

ينظر المقاييس في اللغة: 704

المصدر نفسه

دلائل الاعجاز: 263 ط3 وينظر المصدر نفسه ط1، ص:175 وما بعدها، وينظر الكليات: 842

التعريفات: 218

**هناك علاقة بين اللفظ والمعنى حيث من خلالهما يمكن فهم القصد من الكلام ومن ترابطهما يكون الاتساع في المعنى فاللفظ وما يتعلق به يدور في دائرة واحدة تؤدي بالتالي الى ايصال قصد المتكلم الى المتلقي.**

**اما إذا أردنا الحديث عن (اتساع المعنى) مركبين مع بعض فان كلا المصطلحين قد تحدث عنهما قسم من العلماء المحدثين فقد عبر عنهما د.فاضل صالح السامرائي بقوله: "قد يؤتى بالعبارة محتملة لأكثر من معنى، وقد يؤتى بها لتجمع اكثر من معنى، وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة، فبدل أن يطيل في الكلام ليجمع معنيين، أو أكثر يأتي بعبارة واحدة تجمعها كلها فيوجز في التعبير ويوسع في المعنى"(1).**

**وقد عرفته (سوزان عبد الواحد) لكن بعبارة اخرى وبنفس المعنى بقولها: "قدرة اللفظ الواحد أو العبارة الواحدة على تحمل معانٍ عدة في آن واحد"(2). وفي تعريف آخر للاتساع في المعنى نجد ان شرط السياق قد زاد فيه: "قدرة اللفظ الواحد أو العبارة الواحدة على تحمّل أكثر من معنى في سياقٍ واحد، كلُّ معنىً من هذه المعاني صحيح"(3)، بذلك لا يكون التوسع في المعنى اعتباطاً وانما لقصد في الكلام.**

**من خلال ما سبق من تعريفات للاتساع نستطيع ان نعرفه بانه:- تحمل عدة معانٍ بأقل الفاظ لقصد في الكلام في سياقٍ واحد.**

**نلاحظ ان كل هذه التعريفات الموجزة قد انحدرت من تعريف واحد مفصل للدكتور فاضل صالح السامرائي وقد ذكرناه سابقاً، فاذا احتمل السياق عدة معانٍ مجتمعة في لفظٍ واحد فهذا هو الاتساع، اما اذا كان السياق ينصرف الى معنى واحد فلا يوجد اتساع فقرينة السياق هي التي تدل عليه(4)، وقد عرفه (شاكر محمود حسين**

1. الجملة العربية والمعنى: 163
2. التوسع في المعنى في التعبير القرآني عند الرازي في التفسير الكبير رسالة ماجستير: 157
3. التوسع في المعنى في الجامع لاحكام القرآن رسالة دكتوراه: 12
4. ينظر اتساع المعنى عند السمين الحلبي رسالة ماجستير: 18

**حسن) بانه: "غاية المتكلم في إيراد لفظ أو عبارة محتملة لاكثر من معنى في سياق واحد يقصد إظهارها مجتمعة للمخاطب"(1).**

**من كل ما تقدم يمكن ان نوجز شروطاً للاتساع في المعنى:-**

1. **القصد او غاية المتكلم من ايراد اللفظ او العبارة.**
2. **تعدد المعاني في ذلك اللفظ او تلك العبارة.**
3. **سياق واحد يجمع تلك المعاني المراد اظهارها مجتمعة للمخاطب.**
4. **قلة الالفاظ التي تجمع تلك المعاني المتعددة.**

**ونمثل لذلك بمعنى قوله تعالى: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً (2) فالجملة القرآنية (لا تعبدون الا الله) قال ابو السعود في تفسيرها عدة أقوال(3):-**

1. **انها إخبار في معنى النهي فقال: "وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من إيهام أن المنهي حقه أن يسارع الى الانتهاء عما نُهي عنه فكأنه انتهى عنه فيخبر به الناهي"(4) وقد أيد قوله هذا بقراءة من قرأ (لا تعبدوا ) أو بعطف (قولوا) عليه.**
2. **انها بدل من الميثاق أو معمول له بحذف الجار على أن تقديرها (أن لا تعبدوا) فحذف الناصب ورفع الفعل وأيد ذلك بقراءة (ألا تعبدوا).**
3. المصدر نفسه: 19
4. البقرة: 83
5. ينظر تفسير أبي السعود: 1/148
6. المصدر نفسه
7. **وقال بانه قد قيل انها جواب قسم دل عليه المعنى تقديره (وحلفناهم لا تعبدون الا الله).**

**وبمثل ذلك فسرها المفسرون فقد وردت عند القرطبي بثلاثة اقوال(1) ايضاً هي:-**

1. **جيء بها جواباً لسؤال ورفعاً لابهام تحمله كلمة (ميثاق).**
2. **انها جواب لقسم بمعنى (والله لا تعبدون)(2).**
3. **انها في موضع الحال اي (اخذنا ميثاقهم موحدين)(3).**

**او معناها بتقدير حرف جر وحذف (أن) فيكون:- (أخذنا ميثاقهم على أن لا تعبدوا الا الله)(4) أو: (بان لا تعبدوا الا الله)، وذكر انها قد تأتي اخباراً بمعنى النهي وتؤيده قراءة (لا تعبدوا) وهي قراءة (أُبي وعبد الله) فكل معنى منها صحيح لا يتنافى مع سياق الآية ولا يتنافر بعضها مع بعض.**

**ان تعدد اللغات وتداخلها عدّه البعض ضرب من ضروب الاتساع في اللغة الا أن ابن جني عدّ ذلك شذوذاً لانه قد يكون مخالفاً للقياس احياناً فليس كل ما خرج عن القياس يعود على اللغة بخير من جهة فهو يضفي على بعض الاساليب مرونة تقتضيها**

ينظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي: 1/375 ط1، والتوسع عند القرطبي اطروحة دكتوراه: 12

ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ط1: 1/527

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 1/372، وينظر التفسير الكبير: 3/150، والدر المصون: 1/275

ينظر المحرر الوجيز: 1/372، والتفسير الكبير: 3/150، والجامع لاحكام القرآن: 2/438

**الحاجة احياناً من جهة اخرى ولذلك عدّ البعض الاعتداد بالاصل منهج معياري متبع للحفاظ على اصولهم اللغوية سليمة من الانتهاك وهذا هو منهج المتقدمين لذلك اعتبر ابن جني الاخذ بالاتساع سماعاً ولا يقاس عليه(1)، وقد ذكرنا سابقاً ان ذلك هو ما عرف (بالانزياح في الشعرية) في الدراسات الاسلوبية(2)، وقد وضعت عناصر اساسية للاتساع وُضحت بالشكل الآتي(3):-**

**اصابة الغرض**

 **زيادة في الاستعمال لفظاً او دلالة**

**نقطة الجاذبية**

**الأصل**

 **الانحراف عن الاصل**

**مسوغ الانحراف**

ينظر الخصائص: 2/208، 1/297، وسر الصناعة: 1/427-428

ينظر الاسلوب والاسلوبية: 55

ينظر الاتساع عند ابن جني رسالة دكتوراه: 70

 **نلاحظ ان الاتساع يبدأ من الأصل ثم ينتقل الى مسوغ الانحراف وهو الغرض الذي يقصده المتكلم وبعد الانحراف عن الأصل ينجذب المعنى لتأدية ذلك الغرض مما يؤدي الى نشوء زيادة في المعنى تنتهي بان ينتج عنها معنى جديد يسمى الاتساع عن المعنى الاصلي.**

**وقد قيل إنَّ هناك اتساعاً مقبولاً واتساعاً غير مقبول ولذا فليس كل ضروب الاتساع تعد ابداعاً فنياً لأنه تتحكم في الاتساع ثلاثة امور متفاعلة وضحّها الشكل الآتي(1):-**

 **الاتساع**

 **المتكلم السامع (المتلقّي)**

 **الكلام**

ينظر الانحراف مصطلحاً نقدياً (مؤتمر) 14-15

**المبحث الثاني/ مسوغات التوسع في المعنى وموانعه:-**

**ليس الاتساع في المعنى كلُّه مقبولاً فمنه ما يقبله السياق لعدم تعارض المعاني المحتملة مع المعنى الاصلي المؤدي الى الغرض المقصود من الكلام، وهناك اتساع يكون ممنوعاً أو مرفوضاً من قبل علماء اللغة ومفسري القرآن لتعارضه مع الغرض الاصلي من الكلام، فقد تحتمل العبارة عدة معانٍ تصب في وعاءٍ واحد، أو تحتمل عدة معانٍ كل معنى منها يختلف عن الآخر والسياق يحدد المعنى الاصلي منها والباقي يكون مخالفاً له مرفوضاً.**

**وبناءً على ذلك فقد قال احد الدارسين(1) الى "انه لابد من قرينة تربط الفرع بالاصل في باب الاتساع ولولا تلك القرينة لامتنع الانتقال وتلك القرائن هي المسوغات أو العلل"(2).**

**وقد توصل العلماء الى أن علل الاتساع في المعنى ومسوغاته ليست كلها ظاهرةً لنا وذلك لان اللغة بطبيعتها متغيرة في مسمياتها فهي ليست ثابتةً كثبوت الاحكام الشرعية، نعم هناك مقاييس بقيت ثابتة إلا أن الاكثر عدّ الاتساع ضرباً من السماع منهم ابن جني، والسماع لا يحكمه ضابط لذلك فان عوامل أو مسوغات الاتساع متغيرة بتغير الزمان(3).**

**ان التوسع في المعاني القرآنية والزيادة في المدلولات عدّه البعض من الفهم الصحيح والفقه الرشيد لكتاب الله تعالى لحمل النص القرآني على اكثر من وجه من الوجوه المحتملة(4)، وقد استند في ذلك على قول ابي الدرداءِ (رضي الله عنه): "لا**

حسن سليمان حسين

الاتساع في اللغة عند ابن جني رسالة دكتوراه: 73

ينظر الكتاب: 3/103

ينظر التوسع عند القرطبي رسالة دكتوراه: 24

**يفقه الرجل كلَّ الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة"(1)، وقد شرحه الزركشي بقوله: "أي : اللفظ الواحد يحتمل معاني عدّة، ولا يُقتصر على ذلك المعنى، بل يعلم أنه يصلح لهذا ولهذا"(2).**

**من ذلك نستنتج ان الاتساع يكثر في القرآن الكريم كما يكثر في كلام العرب بشرط ان يكون اللفظ حاملاً لعدة معانٍ صحيحة لا اختلاف ولا تنافي فيما بينها.**

**لقد جاء القرآن دليلاً على تفوق العرب اللغوي فهو معجزة الرسول العربي (صلى الله عليه وسلم) الكبرى التي تحدى بها العرب جميعاً اعجازاً وبلاغة(3)، فالقرآن معجز بلفظه ومعناه لذا نرى العلماء كلما نظروا الى آياته الكريمة وتدبروها أخرجوا منه معاني ودلالات شريفة لم يهتدِ اليها غيرهم فالتوسع في معانيه من الاسباب التي جعلت القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه لذا نرى لبعض كلماته حشداً من المعاني وكثيراً من المفاهيم(4)، وعن ذلك قال الامام السيوطي (ت911ھ): "من معجزات القرآن الكريم أن الكلمة الواحدة تنصرف الى عشرين وجهاً أو أكثر أو أقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر"(5)، فان تعدد الصيغ واختلاف ابنيتها يؤدي الى تعدد معاني الكلمة الواحدة فتقلُّب الكلمة باشتقاقاتها يؤدي الى زيادة في المعنى(6)، ولذلك ذكر الدكتور السامرائي: "أنه لو لم يختلف المعنى لم تختلف الصيغة"(7)، لذا فان موضوع المفردة في القرآن موضوع واسع متشعب الاطراف متعدد المناحي فنلاحظ ان**

1. مصنف عبد الرزاق: 11/255 رقم: 20473، ومصنف ابن ابي شيبة (من قال اعملوا بالقرآن): 6/142، رقم: 30163 وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء بلفظ موقوف: إنَّك لن تفقه كلَّ الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً: 1/211
2. البرهان: 3/208
3. ينظر المعجم العربي نشأته وتطوره: 1/14
4. ينظر التوسع عند القرطبي رسالة دكتوراه: 26
5. الاتقان في علوم القرآن للسيوطي: 1/141
6. ينظر معاني الابنية: 7
7. المصدر نفسه: 7

**كل مفردة فيه وضعت وضعاً فنياً مقصوداً في مكانها المناسب فالحذف والذكر والابدال كلها متغيرات مقصودة فيها(1).**

**ويأتي الاتساع في المعنى لغرض مقصود وفق ما يقتضيه سياق الكلام من ذلك استعمال الفعل والاسم: فالفعل يدل على الحدوث والتجدد، والاسم يدل على الثبوت فهناك فرق بين (يتعلم ومتعلم) ففي حالة الفعل يعني: هو آخذٌ في سبيل التعلم، اما في حالة الاسم فيدل على تمام الامر وثباته وأن الصيغة تمكنت في صاحبها، فالصيغة الاسمية تدل على ان الامر بمنزلة الحاصل المستقر الثابت فتقول: هو ناجحٌ، وذلك لوثوقك بما قررته وكأن الامر تم وحصل وإن لم يحدث فعلاً، ومثل ذلك قوله تعالى لنوح عليه السلام: وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ(2) فلم يقل (سأغرقهم) أو (إنهم سيغرقون) فاخرجه مخرج الامر الثابت وكأن الامر استقر وانتهى(3).**

**كل ذلك وفق ما يقتضيه السياق فنستنتج من ذلك أن العدول من الفعل الى الاسم ومن الحقيقة الى المجاز ما هو إلا ضرب من اضرب الاتساع في المعنى فاختلاف الصيغ يؤدي الى اختلاف وتوسع في المعنى فلو نظرنا الى اختلاف الالفاظ بين قوله تعالى: وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ(4)، وقوله تعالى: وَمِنهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ(5) نلاحظ لفظ (يستمعون) قُصِدَ به الجمع، ولفظ (ينظر) مفرد، وقد ذكر سبب الاختلاف في ذلك كثير من المفسرين وعلل سببه الدكتور فاضل السامرائي: بان المستمعين اكثر من الرائين على وجه العموم، وقد فرق بينهما الكرماني(6) ايضاً بقوله ان المستمع الى**

1. ينظر بلاغة الكلمة: 5-6
2. هود: 37
3. ينظر التعبير القرآني: 23
4. يونس: 42
5. يونس: 43
6. ينظر المصدر نفسه: 52، نقلاً عن البرهان للكرماني: 223

**القرآن كالمستمع الى النبي، فلكثرة المستمعين جُمع ليطابق اللفظ والمعنى(1)، فان كل**

**لفظة في القرآن الكريم قد أُختيرت بحسب السمة التعبيرية لهذا السياق او ذاك وقد خُصت كل سورة بما اقتضاه سياقها من ذلك اختيار لفظ (الرب) في سورة سبأ ولفظ (الله) في سورة العنكبوت لورود كل لفظة في السورة التي جاءت فيها اكثر من الأُخرى(2).**

**إن ضروب التعبير في القرآن الكريم وحدة متكاملة ليس فيها نبوٌ ولا اختلاف فالتوكيد مثلا نجده لوحة فنية عالية متناسقة رغم سعة التوكيد واختلاف المؤكدات وكذلك الاستفهام والتقديم والتأخير وغير ذلك(3)، لذلك قيل بان تلك المسوغات "ليست عللاً عقلية بعيدة عن الواقع اللغوي وانما هي احكام ونتائج استخلصها القدماء وابن جني من الاستقراء الوصفي المباشر للغة ومن معرفتها بخصائص الصيغ والتراكيب العربية أنها بمثابة وصف تقريري وتفسيري في آن واحد للظاهرة في مواضعها المختلفة"(4).**

**ان منهج البحث الاستقرائي الوضعي هو الذي يعرف به موطن اللغة الاول وفصيلتها وعلاقتها باللغات الاخرى وخصائصها، وابنية مفرداتها وتراكيبها، حيث ان هذا المنهج يصف اللغة بانها ظاهرة انسانية اجتماعية(5)، وهو ما يعلل سبب ظهور الاتساع فيها.**

1. ينظر التعبير القرآني: 52
2. ينظر البرهان للزملكاني: 273-274، 416، ا ودرة التنزيل: 408-409، وملاك التأويل: 2/601-602 , و التعبير القرآني: 273-274، 279-280.
3. ينظر التعبير القرآني: 15-16
4. ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: 29
5. ينظر دراسات في فقه اللغة: 22

**لذا فان التوسع في المعنى يُعد من اسرار اللفظة القرآنية وهذا يدل على عظيم بلاغته وسر فصاحته واعجازه واسباغ آياته، وقد سبق ذلك عوامل ومسوغات ادت الى جعل هذه الظاهرة –التوسع في المعنى- سمة بارزة للقرآن الكريم(1).**

**ومن اهم هذه العوامل(2):-**

1. **طبيعة اللغة العربية**
2. **كثرة الموضوعات المبثوثة في السياق الواحد**
3. **غياب القرينة**
4. ينظر التوسع في المعنى عند القرطبي: 26

نعم هناك مسوغات اخرى ذكرها علماء اللغة الا أن هذه الثلاث تعدّ اشملها واهمها لذا سَنذكر شيئاً عنها في مطالب هذا المبحث.

**المطلب الأول:- طبيعة اللغة العربية**

**ان العربية قادرة على تحويل ما تستقبله الى شيء من اشيائها بحكم تكوينها الداخلي لثقافتها والذي يمنحها القدرة على التلقي من الامم الاخرى والقدرة على التحكم بما تتلقاه(1).**

**عرف ابن جني اللغة:- "بانها اصوات يعبّر بها كل قوم عن اغراضهم"(2) وقد جعلها احد اقسام اللسان الى جانب القول والكلام وان الجملة في اللغة تتكون من اصوات وقد عُرف في مفهوم اللغة في الدراسات الاسلوبية بانها نظام وانها تتضمن الكلام لانها اوسع منه فعندما نشير الى العربية بوصفها لغة هذا يعني اننا نشير اليها كاصوات متميزة تقوم على جملة من القوانين تُستخدم في تاليف جمل ذات معنى، لذلك فقد عرفها البعض بأنها أصوات وبأنها اشارات وهي ايضاً اداة للايصال(3)، عرفنا عنها اشياء جهلنا عنها اشياء اخرى، فقد قال سيبويه: "لعل الاول وصل اليه علم لم يصل الى الآخر"(4)، هذا يعني انها غير ثابتة الاحكام والقوانين لذلك فان طبيعتها هي احدى مسوغات الاتساع في المعنى الذي تؤدي اليه واهم شيء في ذلك نظامها الصوتي والصرفي والتركيبي(5).**

**لاحظ الدارسون ان اللغة ذات مستويات عدة، وتؤدي وظائف لا حصر لها لذلك درسوها على انها (اداة) للايصال وانها غاية لذاتها بها ينتقل الانسان من كائنه الانساني الى كائنه الكلامي ومن كائنه الشخصي الى كائنه النصي فاللغة نظام من الاشارات وهي أيضا اداة تستعمل لنقل الافكار بين المتكلمين تحقيقاً للشرط الاجتماعي**

1. ينظر مقالات في الاسلوبية: 185-202
2. الخصائص:- 2/464
3. ينظر مقالات في الاسلوبية:20-24، 95
4. الكتاب: 3/103 تح: عبد السلام
5. ينظر الاتساع عند السمين الحلبي: 20

**الانساني، ومع ذلك فان هناك اشكالا اخرى تبني اللغة فيها شكلها الخاص فتخرج عن كونها اداة للايصال وهو ما يعرف في الدراسات الاسلوبية بالانزياح، وبنظرنا الى وظائف اللغة المتعددة نجد تلك الوظائف هي قدرتها على اعطاء معاني ليست من مسميات اشيائها اصلاً تعتمد في ذلك على معنى الصورة التي يمكن للقارئ ان يتخيلها مما يسمعه، وايضاً قدرتها على قول اشياء تعجز قدرة الانسان المعرفية على إدراك ماهيتها من ذلك قوله تعالى: يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي لذا فالعربية لغة مرنة معطاء(1)، وبها نزل القرآن الكريم ولها خصائص ومميزات فُضلت بها على سائر لغات العالم(2)، لذلك جُعلت مهداً لخاتم الكتب السماوية، ومن تلك الخصائص (سعة لسانها)، ومنها ايضاً ما يرجع الى اللفظ أو إلى النظم، فاللغة العربية ثرية كل الثراء في امتلاك الالفاظ وتسخير المعاني واستعمال الاساليب لذا وصفها ابن جني بانها لغة (الشجاعة)(3) وذلك استناداً الى خصائصها التي تميزت بها والاتساع او التوسع احدها فهو عنده انتقال من لفظ الى لفظ فيه نقض لما عُرِف به وذلك لا يتحقق الا بقدر من الشجاعة في اللغة، فالالفاظ في العربية تحمل قدراً من المعاني لا تحملها الفاظ لغة اخرى لذا فقد وصفها الدكتور فاضل السامرائي بالدقة في التعبير عن المعاني، وسعة مساحتها التعبيرية، وقدرتها على توليد المعاني قدرة هائلة، وقدرتها على التوسع في المعنى حتى تصل في كل ذلك الى درجة الاعجاز(4)، وقد حدد الدكتور (محمد رشيد رضا) مقدار التفاضل بين اللغات يكون بالبيان الذي هو "تادية المعاني التي تقوم بالنفس تامة على وجه يكون اقرب الى القبول وأدعى الى التأثير"(5).**

ينظر مقالات في الاسلوبية: 60-70

ينظر ثراء المعنى في القرآن الكريم: 24

ينظر الخصائص: 2/446-447

ينظر الجملة العربية تأليفها واقسامها: المقدمة (ھ)

اسرار البلاغة في علم البيان، علق حواشيه: محمد رشيد رضا: 5 (مقدمة الكتاب)

**بسبب تمتع العربية بالمرونة وسعة افقها وعلوها وكثرة تولدها فان ظاهرة التوسع في المعنى شملت جميع فروعها ومستوياتها من لغة ونحو وصرف وبلاغة لذلك فقد ذكر اكثر علماء اللغة ظاهرة الاتساع في مصنفاتهم وجعلوها خصيصة من خصائص اللغة(1)، وان من خصائص اللغة العربية الاخرى تتلخص بالآتي(2):-**

1. **الغناء البالغ في تصريف الافعال.**
2. **سعة مادة التركيب فيها بالاشتقاق.**
3. **مرونة الجمل.**
4. **إفادة المعنى الكثير باللفظ القليل: وهذا يسمى بالايجاز(3) وهو: "اداء المقصود بأقل من العبارة المتعارفة"(4).**

ينظر الخصائص: 2/208-216، والتوسع في كتاب الاصول رسالة ماجستير: 5-8

الاتساع عند السمين الحلبي رسالة ماجستير: 21

ثراء المعنى في القرآن الكريم: 32

التعريفات: 44

**المطلب الثاني/ كثرة الموضوعات المبثوثة في السياق**

**يعرف السياق بانه:- "بيان اللفظ والجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق الا بدليل يجب التسليم له"(1)، أو هو: "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الالفاظ القرآنية لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المقصود دون انقطاع أو انفصال"(2)، وعرفه الدكتور فاضل السامرائي بانه: "مجرى الكلام وتسلسله، واتصاله بعضه ببعض"(3).**

**من خلال هذه التعريفات نفهم ان السياق يعني سلسلة الكلام واتصال اللفظ الواحد بما قبله وبما بعده اتصالاً محكماً يؤدي الى فهم المعنى المقصود منه بصورة اللفظ المعبر عنه.**

**ان الاستعمال الفني للغة هو الذي يدفعها الى امام فيجعلها اكثر دقة وتخصصاً وغناءً ونماءً لا الاستعمال العامي الساذج غير المخصص ولا الدقيق(4)، والقرآن الكريم ابلغ صورة او مثال لما نحن بصدد الحديث عنه ذلك لانه جاء معبراً عن كل امور الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فهذه الموضوعات تنتقل بين سور القرآن او بين السورة الواحدة بالفاظ واسلوب مترابط لذلك قال الزركشي: "فهو -اي القرآن- من تناسب الفاظه وتناسق اغراضه، قلادة ذاتُ اتساق، وحسن ارتباط اواخره واوائله، وبديع إشاراته، وعجيب انتقالاته من قصص باهرة..."(5).**

**ان كثرة الموضوعات في السياق القرآني او في السياق اللغوي –اي خارج النص القرآني- تجعل المفردة الواحدة تحمل معاني مختلفة كلُّ معنى منها يظهر في**

1. دلالة السياق واثرها في التفسير رسالة ماجستير: 10
2. نظرية السياق القرآني: 15
3. الجملة العربية والمعنى: 63
4. ينظر معاني النحو: 3/10
5. البرهان في علوم القرآن: 1/22

**سياق معين يختلف عما هو عليه في سياق آخر مثلا قوله تعالى في سورة البقرة: فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً(1)، وقوله تعالى في سورة الاعراف: فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً (2) فالانفجار أشد واقوى من الانبجاس كلاهما يعنيان ان الامر حصل(3)، الا ان الانفجار أشد واقوى من الانبجاس واستعمال كل مفردة منهما بما اقتضاه السياق(4)، وقد ذكر أبو السعود ان عبارة (فانفجرت) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كأنه حصل عقيب الامر بالضرب، اي: فضرب (فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً)(5)، وعلى هذا يكون تقدير المحذوف (فلما ضرب الحجر بعصاه انفجرت) -والله اعلم- وقال ايضاً ان عبارة (انبجست) عطف على مقدر ايضاً ينسحب عليه الكلام وقد حذف تعويلا على كمال الظهور وايذانا بغاية مسارعته عليه السلام الى الامتثال وإشعاراً بعدم تأثير الضرب حقيقة وتنبيهاً على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار كأنه حصل إثر الامر قبل تحقق الضرب، أي فضرب (فانبجست منه ٱثنتا عشرة عيناً)(6).**

**ان تعدد الالفاظ او العبارات والمعنى واحد يأتي ذلك وفق ما يتطلبه السياق من ذلك ان نقول (فلانٌ طويلُ النجاد) هي نفسها ( فلانٌ طويلُ القامة) إلّا أن السياق اللغوي قد يتطلب مرة قولك (طويل النجاد) لما في ذلك من بلاغة القول لعدم التصريح بطول القامة وهو ما يسمى في علم البيان ب(الكناية)(7)، ومرة يتطلب قولك (فلانٌ طويل**

1. البقرة: 60
2. الاعراف: 160
3. ورد في الصحاح: فجر: فجَرتُ الماء فانفجر، أي: بَجَسْتُهُ فانْبَجَسَ، وفي المعجم الوسيط (انفجرَ): مطاوع فَجَرَ، وانفجر الماء ونحوه: انبعث سائلاً، ويقال: انفجر فلانٌ باكياً
4. ينظر مفتاح العلوم: 189
5. ينظر تفسير ابي السعود: 1/128
6. ينظر المصدر نفسه: 2/307
7. عرفها الجرجاني في التعريفات بانها: ترك التصريح بذكر الشيء الى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور الى المتروك

**القامة) بان تصرح بما اردت(1).**

**ان الاستعانة بالسياق امر من الامور المهمة لتلمّس الفروق في استعمال كل لفظ في موضعه الذي ذكر فيه لذا قال الدكتور فاضل السامرائي: "هو مهم جداً في الدلالة على سبب الاختيار لئلا تزلَّ بنا القَدَمُ، وتذهب بنا بنياتُ الطريق"(2)، فالمعاني قائمة في النفس تختلف من شخص الى آخر حسب الفروق الفردية، والاغراض والغايات والمقاصد والحاجات والرغبات والانماط الاجتماعية والاتجاهات الفلسفية والوجهات الحضارية والقيم والعادات والتقاليد وما الى ذلك، وأنَّ المعنى القائم باللفظ المنطوق هو المقصود حيث انه يخرج من صدر صاحبه حاملاً مفهوم التجربة الانسانية، وإنَّ تعزيز ذلك المعنى دون غيره في التصور البلاغي والادبي والنقدي يعين على تفسير كثير من الظواهر التي تجعل معنىً عند شخص في المقام الاول وعند آخر أقل أهمية، إلا أنَّ كلَّ معنى في إطاره له قيمة خاصة به وهذا القول يبين سبب ظهور كثير من المصطلحات الادبية والنقدية والبلاغية كالتكرار والحشو والزيادة والفضلة والمشترك والمتضاد وغير ذلك(3)، كما ان فن القول يحتاج الى ثلاثة اركان رئيسية في عملية التلقي هي:-**

1. **مرسل او صاحب النص**
2. **متلقٍ او مستمعٍ**
3. **نص يحمل المعنى النفسي**

**وهذا التفاعل يحتاج الى اكثر من فرد ليتم التوصيل والتبليغ والتأثير(4)، لذلك فان علم المعاني غالبه من علم النحو، وإن المفردات تكون خارجة من نفس المرسل**

1. ينظر مفتاح العلوم: 189
2. بلاغة الكلمة: 11
3. ينظر مفهوم المعنى بين الادب والبلاغة: 10-11
4. ينظر المصدر نفسه: 10

**فبعضها يتعلق بالوضع الذي وضعت له وهو غاية النحوي والبعض الآخر يتعلق بمقاصد لا تتعلق بالوضع وذلك لتفاوت اغراض المتكلم على اوجهٍ لا تتناهى(1)، لذلك ٱسْتعيرتْ بعض الالفاظ من دلالتها الخاصة الى دلالات عامة من ذلك (الغيث) حيث سمي بالمطر، ثم صار ما يُنبت بالغيث غيثاً وكذلك سمي المطر سماء فقد قالت العرب: (مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم)، أي: موقع الغيث، وغير ذلك كثير(2).**

**وبناءً على ذلك فالمقاصد التي لا تتعلق بالوضع فانها تتعلق بالسياق وما ينتج فيه من معانٍ جديدة فيها زيادة وتفاوت عن وضعها الذي كانت فيه، وبذلك تتنوع الاغراض والمعاني وهذا مرتبط بغاية المرسل وقبول المتلقي وما تثيره في نفسه تلك المعاني في تراكيبها المختلفة(3).**

**ان السياق القرآني يتصف بظاهرة المرونة والحيوية وذلك لكثرة الموضوعات القرآنية التي تجعل اللفظة الواحدة او العبارة تدور بين معانٍ ومفاهيم متنوعة(4)، وقد جاء في نظرية السياق القرآني: "وتلك القابلية التي يتمتع بها السياق القرآني باحتماله لعدة معانٍ كلها صحيح صريح، تُعَدُّ خصيصة من خصائصه..."(5) فكثير من المفسرين اتخذوا السياق منهجاً لتفسير القرآن الكريم باعتباره المنهج المأمون في التفسير لانه يفسر الكلمة القرآنية ذاتها، والنص القرآني غني بمدلولاته فهو يلبي حاجات كل عصر، ويراعي ظروف وعناصر التطور ومستلزماته(6)، فالقرآن الكريم معجز بلفظه ومعناه والغاية من عجز العرب أن المعاني المتضمنة في القرآن لا يقدر**

1. ينظر عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح: 1/51
2. ينظر الجمهرة: 3/432-433، ودرة الغواص في اوهام الخواص: 114، وفقه اللغة د.وافي: 227، ولحن العامة والتطور اللغوي: 58
3. ينظر مفهوم المعنى بين الادب والبلاغة: 113
4. ينظر ثراء المعنى في القرآن الكريم: 59-61
5. نظرية السياق القرآني: 70-71
6. ينظر دلالة السياق القرآني منهج مأمون في تفسير القرآن: 16-20

**عليها فرد ولا طائفة لذلك قال تعالى: "نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين"، لذلك جعل الله تعالى الناس في طبقات ورفع بعضهم فوق بعض درجات ولم يكن ذلك إلا من خلال المعاني لذا بنى المفسرون مراتب البلاغة على المعاني لتفاوتها وهذا التفاوت حسب المستوى الثقافي الاجتماعي(1)، وخير دليل على ذلك ما فسره أبو السعود من سورة الاعراف فنلاحظ في قوله تعالى: وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً(2)، فقال في معنى (تاب) "اي: عن المعاصي بتركها بالكلية والندم عليها" وبالعمل الصالح يتلافى به ما فرط منه أو خرج عن المعاصي ودخل في الطاعات فانه بما فعل يرجع الى الله تعالى(3)، وفي (متابا) "اي: متاباً عظيم الشأن مرضياً عنده تعالى ماحياً للعقاب محصلاً للثواب، او يتوب متاباً الى الله تعالى الذي يحب التوابين ويحسن اليهم، أو فانه يرجع اليه تعالى أو الى ثوابه مرجعاً حسناً وهذا تعميم بعد تخصيص"(4)، وقوله تعالى في هذه الآية هو وصف لعباد الرحمٰن الذين ذكرهم في آيات سابقة ثم ذكر جزاءهم في آخر السورة وذكر بعد ذلك الجزاء بيان لحال الكفرة من المخاطبين الذين ذكرهم في اول السورة لذلك قال ابو السعود ان وصف عباد الرحمٰن كلام مستأنف مسوق لبيان اوصاف خلص عباد الرحمٰن وأحوالهم الدنيوية والاخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له والاضافة للتشريف (عباد الرحمٰن) وهو مبتدأ خبره ذكر فيه قولان فاما أن يكون ما بعده من الموصول وما عطف عليه الذين يمشون على الارض هوناً واما أن يكون ما في آخر السورة الكريمة من الجملة المصدرة باسم الاشارة اولئك يجزون الغرفة بما صبروا(5) فنلاحظ ان كل معنىً جاء منسجماً مع ما قبله وبما بعده**

1. ينظر مفهوم المعنى بين الادب والبلاغة: 17
2. الفرقان: 71
3. ينظر تفسير أبي السعود 4/150
4. المصدر السابق: 4/150
5. المصدر نفسه: 4/150، 117-152

**وكذلك حال سور القرآن كلها بل حال القرآن من اوله الى آخره لذلك فهو شفاءٌ لما في الصدور، وهو تعزيز الايمان في النفوس اذا قُرئ بتدبر وتمعن وخشوع.**

**فالاتساع في المعنى هو ظاهرة من ظواهر التطور الدلالي في اللفظة لذلك يقول (مسييه): "إنَّ الكلمات يتسع معناها ويضيق بحسب اتساع افقها وضيقه،..."(1)، فالمعنى يتسع بتطور اللغة وتطور دلالة مفرداتها وذلك تبعاً لتطورها في الحياة وفق الحاجات والاغراض الانسانية الاجتماعية والثقافية وما الى ذلك(2).**

**جمع السياق القرآني موضوعات شتى من ذلك ذكره احوال الامم السابقة، وفضائل الاخلاق، ودعوة الانبياء، وعاقبة المكذبين وغيرها من الموضوعات، ويذكرها مجملاً تارةً ومفصلاً تارةً اخرى، وصدق الله تعالى إذ يقول: َّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ(3) وفي تفسيرها قولان ذكرهما أبو السعود:**

**الاول: اي ما تركنا في القرآن شيئاً من الاشياء المهمة التي من جملتها بيان أنه تعالى مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي.**

 **الثاني: ما جعلنا الكتاب مفرطاً فيه شيئاً من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لابد من ذكره.**

**وعلى القولين الجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وفي ذلك إشارة الى أن أحوال الامم مستقصاة في اللوح المحفوظ غير مقصورة على هذا القدر المجمل، ثم بين الوضع النحوي للالفاظ وفقاً لهذين المعنيين فعلى القول الاول يكون لفظ (ما) ظرف، (من شيء) مفعول لفرطنا و(من) مزيدة للاستغراق لذلك يقال: فرط الشيء اي: ضيعه**

1. دلالة الالفاظ: 154، وينظر التطور اللغوي: 117
2. ينظر الاتساع في اللغة والنحو عند الزمخشري رسالة ماجستير: 14
3. الانعام: 38

**وتركه، ثم على القول الثاني يكون (ما) مفعول للفعل و(من شيء) في موضع المصدر(1).**

**نلاحظ ان أبا السعود يفسر الآية الواحدة من وجهين:**

**الاول: حسب التركيب الوضعي للالفاظ لذلك يوضحها من حيث التركيب النحوي، والثاني: حسب السياق وبذلك يوضح المعنى من وجهين، لذا فقد وصف ابن عباس (رضي الله عنه) القرآن الكريم بانه حمال أوجه(2).**

**ان كل علوم العربية واقسامها انما بُنيت على اساس المعنى وكذلك كتب التفسير بناءً على احالة معنى جديد لكل تركيب وهذا المعنى الجديد ليس فرعاً أو تابعاً، بل كل معنى قائم بنفسه وذلك تبعاً لامور ثلاث:**

1. **اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين نحو: جلس وذهب.**
2. **اختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق**
3. **اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين نحو: وجدت عليه (من المَوْجَدة)، ووجدت (إذا أردت وجدان الضالة)(3).**

**لو أنعمنا النظر في قوله تعالى: وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً(4) نلاحظ ان اختيار لفظة (عنت) جاءت ملائمة للسياق الذي وردت فيه دون غيرها من الالفاظ التي تحمل نفس المعنى مثل (ذلَّت)، (خضعت)، (استسلمت) او غيرها من الدلالات، ففسر أبو السعود لفظة (عنت) بانها: الذل والخضوع كخضوع الأسارى في يد الملك القهار، والوجوه هي وجوه المجرمين كقوله تعالى: سيئت**

1. ينظر تفسير أبي السعود: 1/147
2. نقلا عن دلالة الالفاظ: 154
3. ينظر الكتاب تح عبد السلام: 1/23، ومفهوم المعنى بين الادب والبلاغة: 117-118
4. طه: 111

**وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى: وقد خاب من حمل ظلماً بمعنى: وقد خاب من حمل منهم ظلماً(1)، فلفظة (عنت) شملت تصوير حال تلك الوجوه يوم القيامة واحتمل معناها كل ما دلت عليه من الدِلالات المشابهة لها ولو استخدم واحدة من تلك الدلالات لما مثلت ذلك المنظر الرهيب، وان السياق هو الذي اعطاها تلك المعاني، وهذا حال كل الفاظ القرآن الكريم وان دل ذلك على شيء انما يدل على قدرة الله واعجاز لفظه، وكذا ما جاء في معنى كلمة (جدّ)(2) من قوله تعالى حكاية عن الجنّ: وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً(3) فقال فيها ابو السعود بانها وما بعدها من الجمل المصدرة بان جاءت عطفاً على محل الجار والمجرور في (آمنا به) السابقة، هذا من ناحية وضعها في التركيب النحوي، ثم ذكر معناها: فصدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا أي: ارتفع عظمته، كما نقول جد فلان في عيني أي عظمة تمكنه وسلطانه أو غناه على أنه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى: وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه أو لغناه، وبيّن ان هذا المعنى شمل قراءة من قرأ بالفتح او بالكسر (جَدُّ- جِدُّ) وان عطف تلك الجملة –المصدرة بان وهي احد عشر موضعاً- على المحكي بعد القول أظهر لوضوح اندراجها كلها تحت القول، اي ان هذا المعنى توجبه السياق للعطف المذكور، اما اذا عطفنا ما جاء من الجمل المندرجة تحت الايمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه إشكال(4)، ونقل ابو السعود الاقوال التي قيلت في تفسير معنى الجن وتعدد الاقوال هو ضرب من الاتساع في تفسيره وكلها تدل دلالة واحدة فقال في الجن: "الجن اجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أو الهوائية، وقيل نوع من الأرواح المجردة، وقيل هي النفوس البشرية المفارقة عن أبدانها، وفيه دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام لم يشعر بهم**

1. ينظر تفسير ابي السعود: 3/492
2. ذكر القرطبي الجد في اللغة: العظمة والجلال، وذلك في الجامع لاحكام القرآن: 19/11
3. الجن: 3

ينظر تفسير ابي السعود: 5/776-777، والجامع لاحكام القرآن: 11/226-227

**وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها فاخبره الله تعالى بذلك"(1).**

**ومن اهم العوامل التي تساعد على كثرة مفردات اللغة العربية ومعانيها بما يحكمها به السياق اللغوي هو (الابداع)(2) الذي هو اساس نهضة اللغة ويكثر ذلك عند الشعراء والادباء وفي الهيئات العلمية والمجامع اللغوية(3)، وسبب ذلك يعود لعدة امور منها(4):**

1. **للتعبير عن امور لا يجدون لها تعبيرا في المفردات اللغوية المستعملة او الدائرة ما يعبر عنها تعبيراً دقيقاً.**
2. **قد يكون ذلك لمجرد الرغبة في الابداع.**
3. **مجانبة الالفاظ المتداولة المألوفة.**
4. **لابراز المعنى في صورة رائعة لتثبيته في الاذهان فالسياق يحفز المعاني ويوسع دائرتها ويهيء لدلالات المفردة ان تأخذ موقعها في مضمار التسابق والتنافس فيما بينها.**

تفسير أبي السعود: 5/776

عرفه الجرجاني في التعريفات: "هو ايجاد شيء من لا شيء، وقيل الابداع: تأسيس الشيء على الشيء": 10

ينظر علم الدلالة: 242

ينظر علم اللغة د.وافي: 197

 **المطلب الثالث/ غياب القرينة:-**

**اولاً/القرينة لغة واصطلاحاً:-**

**القرينة لغةً:- القرين: لفظ يدل على الربط والشدِّ، و "قَرَنْتُ الشيء بالشيء: وصَلتُه به. وقُرِّنت الأسَارَى في الحِبالِ، شُدِّد للكثرة؛ قال الله تعالى: مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ(1)...، وقارَنْتُه قِرَاناً: صاحبْتُهُ...، قال ابن السكيت: والقَرينُ: المصاحِبُ، وقرينَةُ الرجُل: امرأتهُ"(2)، فالقرينة أو القرين: هو مصاحبة الشيء للشيء أو ربطه معه بشدة ومواصلته به(3)، و "القرينة فعيلة بمعنى المفاعلة مأخوذ من المقارنة، والقرينةُ بمعنى الفقرة"(4)، و "القِرَانُ: بكسر القاف، هو الجمع بين العمرة والحج بإحرام واحد"(5).**

**القرينة اصطلاحاً:-**

**"أمر يشير إلى المطلوب"(6)، وقد فُسِرَ المطلوب بانه المعنى(7)، لذا يمكن ان نعرف القرينة بانها: علاقة ربط اجزاء الكلام بعضه ببعض ليكون وحدة متماسكة الدلالات والاجزاء يتوصل من خلالها الى أمن اللبس في فهم القصد منه -اي فهم معنى الكلام المقصود- فلو تأملنا مثلاً قول الشاعر:-**

 **قامَتْ تُظَلِّلُني مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَحَبُّ إليَّ مِنْ نَفْسي**

 **قامَتْ تُظَلِّلُني ومِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُظَلِّلُني مِنَ الشَّمسِ**

ص: 38

الصحاح: 857

ينظر جمهرة اللغة: 407، ومعجم مقاييس اللغة: 5/76، ولسان العرب مادة (قرن): 3/75، والمعجم الوسيط: 2/730

التعريفات: 175

المصدر نفسه

التعريفات: 175

ينظر التوسع في الجامع لاحكام القرآن رسالة دكتوراه: 38

**نجد ان كلمة الشمس ٱسْتُعْمِلَت في معنيين:- الاول:- الحقيقي وهي الشمس التي نعرفها، والثاني: إنسان يشبه الشمس في التلألؤ وهذا معنى مجازي غير حقيقي وبتأمل البيتين نجد أن هناك علاقة بين المعنيين هي المشابهة في الاشراق، وتوصلنا الى هذا المعنى بدون اللبس في أيهما الشمس الحقيقية والذي دلَّ على هذا الفهم كلمة (تظللني) فالشمس الحقيقية لا تظلل فقد منعت هذه الكلمة من إرادة المعنى الحقيقي لذلك فهي القرينة الدالة على المعنى المقصود وهو المعنى الجديد العارض، فهذه استعارة والاستعارة من المجاز اللغوي(1).**

**في قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ (2) نلاحظ ان لفظة السجود شملت كل المخلوقات بين السماء والارض والمعلوم ان السجود للعقلاء فقال ابو السعود إن: "المراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيه بأكمل افعال المكلف في باب الطاعة ايذاناً بكونه في أقصى مراتب التسخر والتذلل لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء"(3).**

**فالقرينة تفهم من سياق الكلام فهي إمَّا لفظية أو حالية وهي الاداة الاساسية للمجاز اللغوي لذلك عُرِّف المجاز اللغوي بانه: "اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقةٍ مع قرينةٍ مانعةٍ من إرادة المعنى الحقيقي"(4)، "والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قد تكون المشابهة وقد تكون غيرها، والقرينةُ قد تكون لفظية وقد تكون حالية"(5)، ويؤكد ذلك قول الجرجاني (ت471ھ): "إن وصف اللفظة بأنها حقيقة أو مجاز فيها من حيث إنَّ لها دلالة على الجملة، لا من حيث هي عربية أو**

ينظر البلاغة الواضحة: 70

الحج: 18

تفسير ابي السعود: 4/13

البلاغة الواضحة: 71

المصدر نفسه: 71

**فارسية أو سابقة في الوضع..."(1).**

**أما عن المجاز فقد قال: "وأما المجاز فكل كلمة أُريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز..."(2)، هذا يعني أن لكل كلمة عدة معانٍ أحدها هو حقيقةٌ والباقي مجازٌ لها لذلك نلاحظ تناول كتب اللغة والبلاغة خصوصاً لموضوع المجاز لما له من أثر في تطور اللغة واتساعها فهذه الظاهرةُ اختصت بها اللغة العربية دون غيرها من اللغات.**

**قد علمنا أن المجاز هو خروج اللفظ عن معناه الحقيقي الى معنى آخر يقتضيه السياق، إلا ان هذا الخروج لا يكون اعتباطاً فهناك علاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي وهذه العلاقة هي التي أدت الى العدول من الحقيقة الى المجاز(3)، والخروج عن المعنى الحقيقي هو ما يسميه اللسانيون بالإيحاءات الشخصية(4) مثل قول الشاعر أبي القاسم الشابي:-**

 **سأعيش رغم الداء والاعداء كالنسر فوق القمة الشماء**

**لذا قال ابن جني: "إنّما يقع المجاز ويُعْدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة: هي: الاتساع، والتوكيد، والتشبيه، فان عُدِم احد هذه الاوصاف كانت الحقيقة البتة"(5)، والامثلة على ذلك كثيرةٌ مثلاً:- أن يراد النعمة بلفظ اليد فاليد جارحة خُصَّتْ بها النعمة حيث انها تصدر عنها، ومثل أن يراد النبت بالغيث، والغيث بالسماء وذلك كلٌ حسب جهته التي يصدر عنها(6).**

أسرار البلاغة: 286

نفس المصدر: 287، وينظر المصدر نفسه: 287، 338

ينظر الاتساع عند الزمخشري رسالة ماجستير: 7

ينظر مقالات في الاسلوبية منذر عيّاش: 49

الخصائص: 2/208

ينظر الخصائص: 2/210-214، ومفتاح العلوم: 165، وتأويل مشكل القرآن: 103، ونهاية الايجاز: 40، وفقه اللغة وسر العربية: 154، ودلائل الاعجاز: 191

 **فالمجاز وسيلة من وسائل التوسع اللغوي، وإثراء اللغة، وبه تحصل اللفظة على معانٍ جديدة، وتتجدد الفاظ وبذلك تبقى اللغة متجددة متطورة لذا فقد تميزت اللغة العربية عن اللغات الاجنبية وبه حافظت اللغة العربية على ديمومتها وأصالتها أمام اللغات الاجنبية الغازية كإستخدام لفظة الحاسوب بدل الكومبيوتر؛ وبدون الاتساع والمجاز تجمد اللغة وتندثر مما يؤدي الى تنظيمها في إعداد اللغات الميتة(1).**

**وللمجاز أنواع منه:- (اللغوي والعقلي والمرسل) فالمجاز اللغوي: هو الذي يقيد بعلاقة المشابهة بين المعنى الاصلي والعارض بقرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي(2)، و"الاستعارة من المجاز اللغوي وهي تشبيه حُذف أحد طرفيه فعلاقتها المشابهة دائماً"(3).**

**والمجاز المرسل: "هو المطلق غير المقيد بعلاقة مشابهة مع وجود أو بقاء القرينة المانعة من إرادة المعنى الاصلي"(4).**

**والمجاز العقلي وهو:- "إسناد الفعل أو ما في ما معناه الى غير ما هُوَ له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي"(5).**

**فمثال الأول من قول الشاعر السابق ذكره من استعارة الشمس ومثال الثاني قول المتنبي:-**

 **لَهُ أَيَادٍ عَلَيَّ سابغَةٌ أُعَدُّ مِنْها وَلا أُعَدِّدُها**

**فهو يقصد أن الممدوح صاحب فضلٍ ونعمةٍ عليه وإن وجوده يُعَدّ من نعمه ولكثرتها لا**

1. ينظر علم الدلالة والمعجم العربي: 92-93
2. البلاغة الواضحة: 71
3. المصدر نفسه: 77
4. المصدر نفسه: 110
5. المصدر نفسه: 115

**يستطيع أن يحصيها، فلفظة الأيادي لم يقصد بها الحقيقة وإنما أراد بها (النِّعَم) ولكن لا توجد مشابهة بين اللفظين إلا أن اللفظة الحقيقية هي سبب وجود اللفظة الثانية، فالعلاقة هي السببية وهذا كثير في لغة العرب(1). لذا "فإن لكل مجاز علاقة وأن العربي لا يُرسل كلمة في غير معناها إلا بعد وجود صلة وعلاقة بين المعنيين"(2). ومثال المجاز العقلي: قوله تعالى: وَإذا قَرَأْتَ القُرءان جعلنا بينك وبين الذين لا يُؤمنون بالآخِرَةِ حجاباً مَسْتُوراً، وقوله تعالى: إنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتيّاً، "فجاءت كلمة (مستوراً) بدل ساتر، و(مَأْتيّاً) بدل آتٍ، فاستعمل اسم المفعول مكان اسم الفاعل وإن شئت فقل أُسند الوصف المبني للمفعول إلى الفاعل"(3).**

**فالمجاز العقلي هو إسناد غير حقيقي وسمي عقلياً لان المجاز ليس في اللفظ كالاستعارة والمجاز المرسل بل إنه يدرك عقلياً فلا يسند الفعل الى فاعله الحقيقي بل الى سبب العقل أو زمانه او مكانه أو مصدره، أو صفات كان من حقها أن تسند الى المفعول فأُسندت الى الفاعل وصفات كان من حقها أن تسند الى الفاعل فأُسندت الى المفعول(4)، ويسميه البعض (مجازٌ في التركيب) ويسمى أيضاً (مجاز الاسناد) و (المجاز العقلي) وعلاقته (الملابسة)(5) كقوله تعالى: وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً فنسب الزيادة وهي فعل الله الى الآيات لكونها سبباً لها.**

**قد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقية(6)، وهناك أيضاً ما هو ابلغ منه وهو (مجاز المجاز):- و "هو أن يُجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة الى مجاز آخر فيتجوز بالمجاز الاول عن الثاني لعلاقة بينهما كقوله تعالى:**

1. ينظر البلاغة الواضحة: 69-71، 108
2. المصدر نفسه: 109
3. المصدر نفسه: 116
4. ينظر المصدر السابق: 116
5. ينظر الاتقان في علوم القرآن: 36
6. ينظر المصدر نفسه

**ولكن لا تواعدوهن سراً فانه "مجاز عن مجاز، فان الوطء تجوّز عنه بالكسر لكونه لا يقع غالباً إلا في السر وتجوّز به عن العقد لأنه مسبب عنه فالمصحح للمجاز الأول الملازمة والثاني السببية والمعنى لا تواعدوهن عقد نكاح"(1).**

**عند الحديث عن القرينة نلاحظ ان الكلام ساق بنا الى المجاز والكلام عنه واسع لكننا اكتفينا بهذا القدر ولو تركنا الامر لحرية القلم لتعمقنا في حديث آخر عن الاستعارة و أنواع المجاز، والمجاز في القرآن وغير ذلك ولا نستطيع القول بأنه خارج عن نطاق الموضوع لأن ذلك كله يدخل مضمار الاتساع في اللغة لكننا ابتعدنا عنه كي لا يطول بنا الامر، وهذا كله ان دل على شيء فانه يدل على تداخل موضوعات اللغة لذا يقال: إن اللغة بحر من أراد ان يغوص فيه عليه ان يعرف علومها، ومازلنا لا نعرف عنها شيئاً إلا الشيء القليل منها لذا قال الشاعر (حافظ إبراهيم) متحدثاً عن اللغة العربية:-**

 **أنا البحر في أحشائه الدرُّ كامنُ فهل سألوا الغواصَ عن صَدَفاتي**

**وقد توصل أحد الدارسين الى ان الاتساع هو احد معاني المجاز لذا يُعدُّ المجاز عاملاً من عوامل الاتساع ودليلاً عليه(2).**

**ثانياً/ أنواع القرينة:-**

**لارتباط الكلام بعضه ببعض علاقات معينة لذا فقد قسم العلماء القرينة على ثلاثة انواع هي: (الحالية، والمعنوية، واللفظية)(3)**

1. **القرينة الحالية أو (القطعية):-**

 **هي بيان حال الشخص المتحدث عنه نحو: قوله تعالى: مَا كَانَ لَهُمْ أَن**

1. المصدر السابق: 41

ينظر الاتساع عند الزمخشري رسالة ماجستير: 7

ينظر التعريفات: 175، وكشاف اصطلاحات الفنون: 5/1228، واقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: 180، والقرينة في اللغة العربية رسالة دكتوراه: 55

**يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ(1)، وقوله تعالى: قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ(2)، فقوله (خائفين) بيان حال الداخلين، و(طائعين) بيان حال المأتيين لذا نُصبا على الحال(3).**

 **ومثل ذلك قولك: أكلَ موسى الكمثْرَى، فيها بيان لحال موسىٰ(4)، و "كما اذا رأيت شخصاً في يده خشبة قاصداً لضرب شخص آخر فتقول: زيداً"(5) أي: إضْرب زيداً(6).**

1. **القرينة المعنوية: وهي التي يحكم دلالتها المعنى(7) كقوله تعالى: وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً(8)، فلفظتا (خوفاً) و (طمعاً) جاءتا بصيغة المصدر لذلك احتمل اعرابها عدة اوجه هي:**
2. **حالاً:- بمعنى (خائفين وطامعين)**
3. **مفعولاً مطلقاً بمعنى (وانتم تخافون خوفاً وتطمعون طمعاً)**
4. **مفعولاً لأجله: بمعنى (تدعوه للخوف وللطمع)(9)**
5. **القرينة اللفظية:-**

 **هي "اللفظ الذي يدل على المعنى المقصود، ولولاه لم يتضح المعنى"(10)، قال تعالى: اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى(11) فدلالة الضمير (هو) دل**

1. البقرة: 114
2. فصلت: 11
3. ينظر إعراب القرآن وبيانه: 2/565
4. ينظر التعريفات: 175
5. شرح الكافية في النحو: 1/338
6. ينظر الجملة العربية والمعنى: 63
7. ينظر المصدر نفسه: 61
8. الاعراف: 56
9. ينظر إعراب القرآن وبيانه: 2/565
10. الجملة العربية والمعنى: 60

المائدة: **8**

**عليه ما تقدمه لفظ (اعدلوا) والمعنى: العدل أقرب للتقوى، ومثل ذلك قولك: خالداً، جواباً لمن قال: مَنْ أكرمت؟ والمعنى: أكرمت خالداً(1).**

**وبما أن القرينة هي الدالة على المقصود من الكلام وقد عُرِّفت بانها (امراً يشير الى المطلوب) وهو المعنى لذا فان غيابها من الكلام يبعده عن المجاز فينتج عن ذلك امرين:-**

**الاول: حدوث لبسٌ في المعنى المقصود من الكلام المنطوق مما يجعل المعنى غيرَ مستقرٍ في السياق وهذا يجعل لكل لفظة عدة دلالات مما يؤدي الى توسع وزيادة في معنى الكلام، أما القرينة فتمنع إرادة المعاني غير المقصودة وتؤدي استقرار اللفظ على المعنى المقصود من الكلام.**

**الثاني: اعادة الكلام الى حقيقته فلا مجاز فيه.**

1. ينظر الجملة العربية: 60 **موانع الاتساع:-**

**ان اللغة العربية تمثل نظاماً بالغ الحساسية والقوة كل ما فيه متماسك بصورة شديدة فلا تأتي الفاظها في التركيب جزافاً(1)، فليس كل مواضع الاتساع في المعنى فيها مقبولاً فما خالف المألوف يُعدّ عيباً في استخدامها لذا يمكن أن نحدد موانع الاتساع – لا على سبيل الحصر- بما يأتي:-**

1. **اذا كان الانزياح في اللفظ فوضوياً اي غير محكوم بقانون او انه مخالف للمعقول.**
2. **عدم موافقته سياق الالفاظ داخل التركيب اللغوي كأن يكون خلل في التقديم والتأخير مثلاً.**
3. **مخالفة اللفظ للمعنى المقصود فذلك يؤدي الى عدم فهم السامع أو سوء فهم للكلام او للمعنى الذي أراده المتكلم، لذلك يمتنع الحذف في مواضع كثيرة لانه يؤدي الى نقض الغرض الذي وضع المحذوف لاجله(2)، وهذا ينطبق أيضاً على الاساليب اللغوية الاخرى فالنقض يخالف الاتساع المقبول.**
4. **عدم شيوع الالفاظ في الاستعمال اللغوي.**

**وفي ذلك بيان حكمة الله تعالى لارسال كل رسول بلسان من أرسلَهُ اليه وهي حكمة جعل القرآن بلسان عربي مبين ثم تعددت طرائق المفسرين في تقريب مراد الله تعالى الى المتلقين لكنها لم تخرج في شمولها خصائص المعنى المحمول على اللفظ والتركيب السليم(3).**

ينظر الاتساع عند ابن جني اطروحة دكتوراه: 105-107

ينظر الخصائص: 1/142، 150، 155

ينظر مفهوم المعنى بين الادب والبلاغة: 15-19

**ان هذه الموانع تقوم بالحفاظ على قواعد واصول هذه اللغة من التشتت والتبعثر، كما تقوم عوامل الاتساع بالمقابل على كثرة مفردات اللغة ومعانيها(1).**

**وقد ذكر سيبويه مانعين من موانع الاتساع هما:-**

**علة أمن اللبس، وانتقاض المعنى والاجحاف(2)، وهو ترك الأصل دون مسوغ قوي، فقال سيبويه: "وليس كل شيء يكثر في كلامهم يُغيّرُ عن الأصل، لانه ليس بالقياس عندهم فكرهوا ترك الأصل"(3).**

**وهذا ما شاع عند القدماء الى أن تطور مفهوم الاتساع فدخلت موانع اخرى يجب ملافاتها ليكون الاتساع مقبولاً وهو ما ذكرناه سابقاً.**

**الاتساع مهم في اللغة لانه يجعلها مواكبة للتطور والتحضر على ان يكون وفق القوانين والقواعد اللغوية لا يخالفها وبعكس ذلك يشكل خطراً عليها حيث يؤدي بها الى ضياع مفرداتها ثم ضياعها وموتها، الا أن الله سبحانه وتعالى اراد لهذه اللغة البقاء والتطور لذلك انزل كتابه الكريم بلسان عربي موافقاً لكل زمان ومكان، وشاءت مقدرة الله ان يفردها بهذه الخاصية (الاتساع) دون غيرها من اللغات.**

1. ينظر الاتساع عند الزمخشري رسالة ماجستير: 16
2. ينظر التوسع في كتاب سيبويه اطروحة دكتوراه: 15-19، والاصول: 2/178، والتفسح رسالة ماجستير: 156
3. الكتاب تح عبد السلام: 2/213